إعْلَامُ الأنَامِ
بِشَرْحِ كِتَابِ "فَضْلِ الإسْلَامِ"

للإمام المجدّد شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله
(١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ)

قرّظ له فضيلة معالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

إعداد
حنان بنت علي بن محمّد اليماني
ماجستير كتاب وسنّة
من جامعة أم القرى بمكّة المكرّمة
ومشرفة بوحدة التربية الإسلاميّة
بمحافظة الطّائف

مكتبة الأسدي

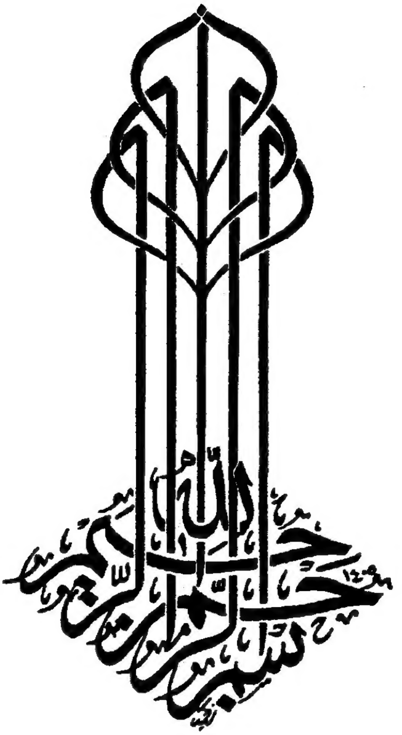
بسم الله الرحمن الرحيم

إعلام الأنام
بشرح كتاب "فضل الإسلام"

ⓗ مكتبة الأسدي ، ١٤٢٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
محمد بن عبدالوهاب بن سليمان
إعلام الأنام شرح كتاب فضل الإسلام / محمد بن عبدالوهاب بن سليمان ، حنان علي محمد اليماني — مكة المكرمة ، ١٤٢٧هـ
٢٥٠ ص ، . . . سم
ردمك : ٩٩٦٠-٥٢-٦٨٦-٠

١ — الأخلاق الإسلامية ٢ — الفضائل الإسلامية
أ . اليماني ، حنان علي محمد (مشرف) ب . العنوان
ديوي ٢١٢,٢ ١٤٢٧/٢٣٠٨

رقم الإيداع : ١٤٢٧/٢٣٠٨
ردمك : ٩٩٦٠-٥٢-٦٨٦-٠

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع
مكة المكرمة — العزيزية — مدخل جامعة أم القرى ت — ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس — ٥٥٧٥٢٤١
فرع العزيزية الشارع العام ت — ٥٢٧٣٠٣٧ ص . ب ٢٠٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قد تصفحت هذا الكتاب: (إعلام الأنام بشرح كتاب فضل الإسلام للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله. فوجدت فيه توضيحًا لهذا الكتاب بأسلوب جيد وطريقة شيقة فجزى الله كاتبه خير الجزاء. وهو جدير بالنشر والتداول للاستفادة منه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

تقريظ

قد تصفحت هذا الكتاب: (إعلام الأنام بشرح كتاب فضل الإسلام) للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

فوجدت فيه توضيحاً لهذا الكتاب بأسلوب جيد، وعرض شيق، فجزى الله كاتبته خير الجزاء. وهو جدير بالنشر والتداول للاستفادة منه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.. أما بعد:

فإنه أمر عظيم أن يلتزم المرء بالإسلام، ويجاهد نفسه في أن يكون على حقيقة الإسلام، ولن يكون ذلك إلا بالعلم النافع الذي به صلاح القلب والعمل، ولهذا قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾** ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ومعنى: ﴿ **عَلَىٰ بَصِيرَةٍ** ﴾ على علم؛ لأن البصيرة للقلب هي العلم الذي يبصر به حقائق المعلومات ويدرك الصواب فيها.

ولهذا لم يأمر الله عز وجل نبيه ﷺ وأمته من بعده أن يزدادوا من شيء إلا من العلم، فقال تعالى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا** ﴾ [طه: ١١٤].

وقد رفع الله تعالى أهل العلم على سائر المؤمنين فقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]. فكل صاحب علم صحيح من أهل الإيمان فإنه مرفوع على غيره درجات، وهذا من فضل الله جل وعلا على أهل العلم.

وطالب العلم إذا سلك هذا الطريق فإن الله يسهل له طريقاً إلى الجنة، كما قال ﷺ: **(ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة)** [صحيح مسلم: ٢٦٩٩]، وذلك أن طريق الجنة يكون بصحة الاعتقاد، ويكون بصحة العمل. وصحة الاعتقاد لا تكون إلا بعلم، وصحة العمل لا تكون إلا بعلم، فـ **(من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً)** من علم التوحيد، أو علم الفقه والحلال والحرام **(سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)**.

فعلى كل مسلم أدرك وفهم هذه النصوص وغيرها في فضل العلم وطلبه، وفضل العلماء، أن يقبل إقبالاً شديداً على العلم في حفظه وتدارسه، فالعلم لا يرغب فيه إلا مؤمن صحيح الإيمان، ولا يرغب عنه إلا مفرّط، وكل من جاهد نفسه في العلم فإنما يجاهد نفسه

في صلاح قلبه، وصلاح عمله.

ويذكر الشيخ صالح آل الشيخ ـ حفظه الله ـ ما آل إليه حال كثير من الناس من إساءة الظن بالعلم فقال: (وفي هذا الزمن ربما ترون أن كثيرين أساؤوا الظن بالعلم من جهة، بل من جهات:

- أساؤوا ظناً بالعلم في ظن بعضهم أن العلم لا فائدة مرجوة منه بقدر ما يَبْذُل فيه الباذل.
- ومنهم من أساء الظن بالعلم في أنه إذا تعلّم فإنما سيكون في نهايته مثل غيره، ولن يكون من الأثر الشيء الكبير الذي يوازي تعبه في العلم.
- ومنهم من أساء الظن في العلم بأن الأهم هو الدعوة للناس والإرشاد والبذل ونحو ذلك، والعلم ليس في الأثر كأثر النشاط والدعوة ونحو ذلك.
- ومنهم من أساء ظناً بالعلم في أن العلم لن يكون لأصحابه شأن، وأن الشأن يكون لغيرهم، إما من أهل الدنيا، وإما من أهل الاتجاهات المختلفة في هذه الحياة.

وهذه الأشياء جميعاً من سوء الظن بالشريعة؛ لأن العلم هو

الشريعة، والواجب على طالب العلم أن يحسن ظنه بالله جل وعلا وأن يحسن ظنه في عمله بالعلم، وأن يحسن ظنه بالعلم والعمل جميعاً، وأن يقبل على ذلك). اهـ. [من شريط (شرح كتاب فضل الإسلام)].

وقد ذكر أهل العلم أن من أسباب ضلال الضالين من هذه الأمة أنهم ضلوا؛ لأنهم لم يكونوا على علم صحيح. فالعلم الصحيح سبب من أسباب الوقاية من الفتن، والوقاية من أسباب الضلال والانحراف.

ولأهمية العلم وفضله وثمرته بالنسبة لكل داعية إلى الله ﷻ اختارت وحدة التربية الإسلامية بمحافظة الطائف أن يدرس كتاب «فضل الإسلام» للشيخ محمد بن عبد الوهاب الإمام المجدد لهذه الأمة أمر دينها، وذلك عبر اللقاءات الشهرية مع مشرفات المصليات لهذا العام١٤٢٥هـ ـ ١٤٢٦هـ؛ لما يتضمنه هذا الكتاب من بيان لفضل الإسلام، ووسطيته ومحاربته للبدع والمحدثات... إلى غير ذلك من المسائل المهمة، فهو يُعد ـ بحق ـ كتاب منهجي يحتاج إليه الدعاة لتصحيح منهجهم في الدعوة إلى الله تعالى.

ونظراً لأن هذا الكتاب لم يشرح في كتاب مطبوع، فقد اعتمدت

في ضبط نصه على نسخة كتاب «فضل الإسلام» الموجودة في «مجموع مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» حيث قوبلت على ثلاث نسخ خطية، كما جاء بيان ذلك في المجموع الذي طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وضبطت ألفاظ نصوص الأحاديث والآثار من مصادرها، ووضعت ما خالف المجموع بين معكوفتين، ثم جمعت شرحه من خلال شروح العلماء وأساتذة الجامعات عبر الأشرطة وهي كالتالي:

١ ـ شرح كتاب «فضل الإسلام» للشيخ صالح بن فوزان آل فوزان.

٢ ـ شرح كتاب «فضل الإسلام» للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ولم يكتمل.

٣ ـ شرح كتاب «فضل الإسلام» للأستاذ الدكتور ناصر العقل ـ عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ.

٤ ـ شرح كتاب «فضل الإسلام» للدكتور عبد العزيز بن محمد السعيد ـ عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ.

بالإضافة إلى بعض الكتب المساعدة في إتمام الشرح مثل: كتب التفسير، والحديث، واللغة بحسب ما يقتضي هذا الشرح المختصر وسميته: (**إعلام الأنام بشرح كتاب فضل الإسلام**) وقد تضمن هذا الشرح ما يلي:

- المقدمة.
- ترجمة موجزة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.
- تعريف بالكتاب وبيان فضله و سبب تأليفه.
- شرح متن الكتاب.

هذا، وأسأل الله العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يحسن لنا نياتنا وأعمالنا، ويصلح لنا ذرياتنا، وأن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، والدعوة إليه كما يحب ربنا ويرضى، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبته

حنان بنت علي بن محمد اليماني

مشرفة وحدة التربية الإسلامية

بمحافظة الطائف

ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هو الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي الوهيبي التميمي، ولد سنة ١١١٥هـ بالعيينة من بلاد عارض اليمامة ونشأ في أحضان أسرة فاضلة، وبين أبوين كريمين، فوالده الشيخ عبدالوهاب بن سليمان (ت ١١٥٣هـ) من علماء نجد المعروفين، ومن قضاة العيينة، وجده الشيخ سليمان بن علي(ت١٠٧٩هـ) من المشهورين بالفقه والفتوى، وكذلك عمه وخاله، مما هيأ له البيئة الصالحة.

وقد دفعه ذلك إلى الإقبال على العلم في وقت مبكر، مع ما حباه الله من الذكاء الوافر، والفهم الثاقب والقدرة على الحفظ والصبر على القراءة والتحصيل.

حفظ القرآن الكريم واستظهره وهو دون العاشرة، وأخذ عن كثير من علماء بلده، ورحل إلى الحجاز والبصرة، والأحساء والمدينة، وأخذ عن شيوخها.

عقيدته:

هي عقيدة السلف الصالح، وقد قال مرة: أُشهد الله، ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة.

مذهبه في الفروع:

هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ﵀ وقد ذكر ذلك في مؤلفاته فقال: (وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل - إمام أهل السنة والجماعة - في الفروع، ولا ندعي الاجتهاد، وإذا بانت لنا سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ عملنا بها، ولا نقدم عليها قول أحد كائناً من كان). اهـ. [محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه. تأليف: أ. مسعود الندوي ص ١٤٨].

عصره:

انتشر في عصره البدع والخرافات والشرك الصريح، بسبب الدولة العثمانية، التي كانت راعية لهذه البدع في كل مكان.

- ففي المدينة النبوية كان يسمع الاستغاثات برسول الله ﷺ ودعاءه من دون الله تعالى.

- وفي نجد الكثير من القبور التي تنسب إلى الصحابة ﭫ، يحج الناس إليها، ويطلبون منها حاجاتهم، ويستغيثون بها لدفع كروبهم.

فقد كانوا في الجبيلة ـ قرية من قرى العيينة ـ يؤمون قبر زيد بن الخطاب، يتضرعون إليه ويسألونه حاجاتهم.

- وكذلك في الدرعية كان يوجد قبر لبعض الصحابة، كما يزعمون.

- وأغرب من ذلك توسلهم في بلد المنفوحة ـ قرية ذات أمارة من قرى الرياض ـ بفحل النخل، واعتقادهم أن من تؤمه من العوانس تتزوج، فكانت من تقصده تقول: «يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الحول».

وغير ذلك من البدع والشركيات ما الله به عليم.

ولم يجرؤ أحد من العلماء على الإنكار، فتصدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب لذلك، فبدأ بالإنكار حين كان في البصرة، وبدأ في تأليف كتاب التوحيد، وبعد أن غضب أهل البصرة منه ونقموا عليه رجع إلى بلده، واستقر في «حريملاء» وبدأ دعوته لقومه إلى العقيدة

الصحيحة، ونبذ الشرك والبدع والخرافات، ولما تآمر البعض على قتله غادرها إلى «العيينة» مسقط رأسه، وكان حاكمها آن ذاك عثمان بن حمد بن معمر الذي رحب به، وسانده في دعوته، إلى أن جاءه خطابا تهديدياً من «سليمان بن محمد بن عريعِر» حاكم الأحساء وبني خالد يأمره بقتله، وإلا قطع عنه خراج الأحساء، فخضع له وأخرجه من العيينة يمشي على رجليه، ولسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى، ويردد قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]، ووكل به فارس يمشي خلفه، وعندما همَّ الفارس بقتل الشيخ ـ بإيعاز من ابن معمر ـ ارتعدت يده، وكفاه الله شره.

ونزل الشيخ بالدرعية سنة ١١٥٨هـ ضيفاً على عبد الرحمن بن سويلم، وابن عمه أحمد بن سويلم، وخاف ابن سويلم على نفسه من الأمير محمد بن سعود، ولكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب سكَّن جأشه، وأفرغ عليه من العظات وملأه رجاء بالله وبنصره.

ثم زاره الأمير محمد بن سعود بترغيب وحث من أخوي الأمير اللذين كانا يحضران للشيخ دروسه وشرح الله صدر الأمير، وبايع الشيخ محمد على الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله، والتمسك

بسنة رسول الله ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الشعائر الدينية.

وهكذا انتشرت دعوته حتى عمَّت الجزيرة كلها، وتجاوزت الجزيرة ولا يزال صدى دعوته يتردد حتى الآن.

توفي سنة ١٢٠٦هـ، ويعتبر بحق مجدد الدين في القرن الثاني عشر.

مؤلفاته:

ألف عدة كتب منها:

- كتاب التوحيد.
- الأصول الثلاثة.
- الكبائر.
- مختصر زاد المعاد.
- فضل الإسلام.
- كشف الشبهات.
- مختصر السيرة النبوية.
- أصول الإيمان.
- مسائل الجاهلية.

(انظر ترجمته في كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب. عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية، وثناء العلماء عليه» للشيخ أحمد بن حجر آل بن علي، ص ١٥ ـ ٢٩ باختصار).

تعريف بالكتاب

هذا الكتاب الذي سنتعرض لشرحه هو كتاب «فضل الإسلام» لشيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وهو كتاب جامع مبين لفضل هذا الدين ووسطيته صدر من عالم جليل، علم ما الناس عليه من البدع والضلالات، والأهواء وما شطحوا به في تفسيرهم للإسلام ووسطيته، وما أداهم إليه الغلو من الخروج عن الإسلام، أو الوقوع في البدع والمحدثات فعالج ذلك على ضوء الكتاب والسنة، في ثلاثة عشر باباً جامعاً من أبواب الخير.

وفضل الإسلام قد نوَّه الله تعالى به في القرآن الكريم، وجاءت به السنة المطهرة مبينة لذلك، كما جاء بيان فضله على ألسنة أهل العلم الربانيين، الذين ورثوا نبيهم ﷺ، وساروا على نهجه وأخذوا من مشكاته.

ولهذا، فإن هذا الكتاب حريٌّ بالمراجعة والقراءة، والنظر فيه

خاصة في مثل هذه الأزمان التي ظهر فيها الجهل، وقلَّ فيها العلم وتسلطت على الناس الشبه والمحدثات.

والمؤلف ﷺ أراد بهذا الكتاب بيان فضل الإسلام الذي بعث به النبي محمد ﷺ، وهذا يتضمن الإسلام الذي اشترك فيه الأنبياء عليهم السلام، لأنهم مشتركون في العقيدة، فعقيدتهم واحدة وشرائعهم مختلفة، فكل ما ورد في فضل الإسلام يدخل في فضل التوحيد الذي اشتركت فيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وهنا ترد مسألة وهي:

عندما صنف الإمام رحمه الله هذا الكتاب «فضل الإسلام» جعل تحته ثلاثة عشر باباً، وعنون للباب الأول بعنوان الكتاب «باب فضل الإسلام» فهل يقصد الإمام أن هذه الأبواب جميعاً داخلةٌ في فضل الإسلام، أم أنه سمى الكتاب بجزء منه؟

كلا المعنيين محتمل، فيحتمل أنه سمى الكتاب ببعضه، وهذا واضح الدلالة، ويحتمل أن هذا العنوان مشتمل على جميع الأبواب المذكورة تحته. وعلى المعنى الثاني لابد أن نعرف متعلقات هذا الفضل حتى تكون الأبواب التي ساقها المؤلف واضحة.

وذلك أن فضل الإسلام له متعلقات، ففضله باعتبار حقيقته، وفضله باعتبار أهله، وكذا فضله باعتبار الزمان وباعتبار المكان، وفضله على غيره من الأديان، وغير ذلك، فإذا نظرنا إلى تعدد متعلق هذا الفضل ترابطت الأبواب كلها، وظهر ارتباطها بعنوان الكتاب.

وأخيرا فإن هذا الكتاب عظيم في بابه، ينبغي الحرص على فهمه وإدراكه، وفقه معاني نصوصه مما يبعد عن الناس كثير من الشبه والمحدثات سواء كانت بقصد أو بغير قصد.

* * *

باب فضل الإسلام(١) ....

---

(١) **يريد المصنف ﵀ بتبويبه «باب فضل الإسلام» عدة أمور:**

الأمر الأول: فضل الإسلام في نفسه على غيره من الملل.

والإسلام يشمل الدين كله بمراتبه المختلفة: الإسلام والإيمان والإحسان ويشمل الدين كله من جهة العقيدة والشريعة والسلوك والجزاء ونحو ذلك فالإسلام فَضَلَ غيره، وصار مفضلاً على غيره بتفضيل الله جل وعلا.

الأمر الثاني: فضل الإسلام على أهله الذين اعتنقوه ودخلوا فيه واستقاموا عليه ظاهر في الدنيا والآخرة في النصوص، فبين المصنف بعضاً من هذه النصوص التي تدل على فضل الإسلام على أهله، وآثاره المباركة على عباد الله.

الأمر الثالث: أن الإسلام تحمله أمة، وهذه الأمة لأجل حملها للإسلام صارت مفضلة على غيرها، وصارت خيراً من غيرها، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ثم فيه فضل الأمة الوسط من هذه الأمة على سائر فرق الأمة التي أخبر عنها الرسول ﷺ بأنها ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهذه الواحدة هي الجماعة التي أخذت بالدين الوسط، يعني الدين المتيقن منه، العدل الخيار. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]. =

وقول الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١) [المائدة: ٣]............................

= فإذا كان لأهل الإسلام عامة فضل خاص ـ بينته الآيات والأحاديث في هذا الباب ـ فإنه أحرى الناس بأخص الفضل وأعلى الفضل هم أهل السنة والجماعة الذين أخذوا بطريقة الجماعة الأولى، ولهذا ثبت في المسند أن النبي ﷺ قال: (**أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله**).

إسناده حسن من حديث حكيم بن معاوية. [المسند: ٢٠٠١٥].

ولهذا بين المصنف رحمه الله في هذا الكتاب بعامة ما يتصل بتقرير هذه المسائل وبيَّن أنواع الفضل في الدنيا والآخرة، وما يتميز به القرآن والسنة من الفضل على أهله المتمسكين به بأنواع الفضل ـ كما سيأتي بمشيئة الله ـ.

(١) هذه الآية نزلت على النبي ﷺ وهو واقف بعرفة في حجة الوداع، وهي من آخر ما نزل من القرآن الكريم؛ لأن النبي ﷺ عاش بعدها مدة يسيرة حيث رجع إلى المدينة بعد الحج، ثم مرض وتوفي ﷺ، وهي دليل على أن النبي ﷺ ما توفي حتى أكمل لنا الدين، وفي ضمن هذا رد على المبتدعة الذين يحدثون أشياء وينسبونها إلى الدين.

ـ وهذه الآية من النصوص الدالة على فضل الإسلام، فقد ثبت في الصحيحين من حديث طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: =

=(أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آيةٌ في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: أيُّ آية؟ قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾.

قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة). [صحيح البخاري: ٤٥ـ صحيح مسلم: ٣٠١٧].

ـ هكذا عرف اليهودي فضل الدين من هذه الآية، حيث إن فضله ظاهر من عدة جهات:

أ) فمن جهة حقيقة الإسلام: فإن فضله ظاهر من حيث إن الله ﷻ كمله والكامل لا يحتاج إلى زيادة، وأتمه ﷻ، وما أتمه الله ﷻ فلا ينقصه أبداً كما قال ابن عباس رضي الله عنهما عند شرح هذه الآية: (أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه فلا يسخطه أبداً) [تفسير ابن كثير: ٢/ ١٤].

ب) ومن جهة أهله: وذلك أن قوله تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ جاء عاماً للناس أجمعين، ولهذا لا يقبل الله جل وعلا بعد البعثة ديناً من أحد سوى الإسلام، فهذا فضل لجميع أهله.

ج) ومن جهة بقائه: وذلك أن الأديان السابقة كانت مخصوصة لأوقات محددة، وأزمنة عينها الله ﷻ، ثم نسخها بدين الإسلام، بينما دين =الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ فإنه باقٍ إلى قيام الساعة، حتى إن

=عيسى عليه السلام حين ينزل آخر الزمان فإنه يحكم بشريعة النبي ﷺ.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ يراد به أن دين الإسلام بعقيدته وشريعته، وبمصادره من الكتاب والسنة، وما دل عليه الكتاب والسنة من الأدلة قد أكمله الله جل وعلا، فلم يعد فيه زيادة لمستزيد وهذا فضل الإسلام بخلاف الملل الأخرى التي لم تكن كاملة.

وفي هذا رد على الذين يتنقصون الإسلام، وأنه لا يصلح لكل زمان مثل الملاحدة اليوم الذين يقولون: إن الإسلام لأجيال مضت، والزمان قد تغير، فالإسلام لا يصلح لآخر الزمان. فالله تعالى يرد عليهم بهذه الآية فإذا قصرت أفهام بعض الناس عن فهم الإسلام، فالعيب ليس في الإسلام، وإنما في فهم بعض الناس، وإلا فالدين كامل وصالح وشامل لمصالح العباد إلى أن تقوم الساعة.

ـ وفي قوله ﷻ: ﴿ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾ أي أتم الله لنا النعمة بهذا الدين وهو أعظم نعمة أنعم الله بها على البشرية.

والنعمة نوعان:

أ) نعمة دينية. **ب) نعمة دنيوية.**

والإسلام له فضل في الجهتين:

فمن الجهة الدينية: الإسلام بمصادره من الكتاب والسنة فيه البيان لما يحتاجه الناس في أمر دينهم، فلا يلتبس الطريق على من أراد الحق. =

=ب) **ومن الجهة الدنيوية:** فإن الله ﷻ وعد من تمسك بالإسلام أنه يكون في حياة طيبة، كما قال جل وعلا: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

والحياة الطيبة تشمل الطمأنينة في هذه الدنيا، والأمن والرضا ونحو ذلك مما لا تكون الحياة الطيبة إلا به مهما كثر المال أو كثرت ملذات الدنيا، فإنها لا تستقيم إلا بالطمأنينة والرضا والأنس بالله ﷻ.

- وفي قوله سبحانه: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ رضي الله تعالى هذا الدين لنفسه، ورضيه لعباده، ولا يرضي سبحانه ديناً سواه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. وسائر الأديان كلها باطلة لا يرضاها الله ﷻ. وفي قوله: ﴿ لَكُمُ ﴾ دلالة على أن المراد هو الإسلام الذي صار سمة هذه الأمة. والإسلام إذا رضيه الله ﷻ لعباده ديناً معنى ذلك أنه ﷻ يرضى عمن أخذ بهذا الإسلام، ويرضى عمن استقام على الإسلام ودخل فيه، وإذا كان كذلك فأهله مرضي عنهم، وإذا كانوا مرضياً عنهم من الله جل وعلا فهم إذاً مخصوصون بتوفيق الله جل وعلا ومعيته الخاصة قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨]، ومعية الله الخاصة هي لمن رضي عنه، فمن رضي عنه قولاً وعملاً - وذلك بتمسكه بالإسلام اعتقاداً وعملاً - فإنه يحظى بالمحبة من الله ﷻ =

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ﴾(١) [يونس: ١٠٤]...........

=والتوفيق والهدى، وهذه كلها فيها من الآثار في الدنيا والآخرة مما لا يدخل تحت الحصر.

ولهذا وجب على المسلم أن يتبين فضل الله تعالى عليه بهذا الدين، فلا يَمُنُّ على الله بعمله وعبادته، فإن الله ﷻ هو صاحب المنة لو كانوا يعقلون.

(١) هذه الآية من سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ﴾ ...الآية. هذا خطاب من الله تعالى للنبي ﷺ أن يعلن للمشركين أنهم إن كانوا في شك مما جاء به النبي ﷺ - وهو الإسلام - فإنه عليه الصلاة والسلام لا يعبد الذين يعبدون من دون الله، ولكن يعبد الله الذي يتوفاهم بمعنى أنه استدل عليهم بتوحيد الربوبية؛ لأن هذه الآلهة المعبودة من غير الله لا تملك نفعاً ولا ضراً ولا تميت، لذلك ليست مستحقة للعبادة وإنما المستحق للعبادة هو الذي أنفس الخلق بيده سبحانه.

فهذه الآية استدل بها الإمام المصلح رحمه الله لبيان فضل الإسلام من عدة جهات:

أ) فضل الإسلام من جهة حقيقته: وذلك أن الآية تبين أن حقيقة الإسلام=

=الذي بعث به النبي ﷺ هو توحيد الله ﷻ الذي اتفق هو وإخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الدعوة إليه، وهذا ظاهر من قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ﴾ فأعلن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) التي فيها النفي وفيها الإثبات.

ب) فضل الإسلام من جهة عمومه: ويتبين هذا من قوله سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ﴾ ... عام يشمل العرب والعجم، والأبيض والأسود والذكر والأنثى، والقريب والبعيد، وهذا بخلاف الأديان السابقة التي كانت خاصة في أقوام الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ج) فضل الإسلام على أهله: حيث إنهم يسلمون من براثن الشهوات وبراثن الشبهات، وهي أعظم، فإذا وردت الشكوك فإن صاحب الدين يسلم من التردد فيها، ولهذا قال ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فإذا وقعت الشكوك من أهل الشرك أو أهل البدع أو أهل الضلالات، وأوقعوها لدى المؤمن وعرضوها عليه، فإن من فضل الإسلام على المؤمن، وعلى المسلم، إذا علمه وتمسك به، وصار له به النور في قلبه أنه لا يتأثر بتلك الشبه والشكوك كما كان إمامنا عليه الصلاة والسلام قوياً فيما واجه به المشركين، حيث قال لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي﴾ يعني من دين الإسلام=

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾(١) [الحديد: ٢٨]..

=والتوحيد الذي جئت به ﴿ فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ ﴾ فكلما قوي الإيمان والعلم بتفاصيل الإسلام بعقيدته وشريعته فإن المرء يكون قوياً معتزاً بالإسلام لا تؤثر فيه شبهة، وهذا من آثار وفضل الإسلام على أهل الإسلام أن الله ﷻ يثبتهم، ولا يكلهم إلى أنفسهم، بل يعينهم ويسددهم عند حلول الشبهات.

وهذا واقع، فإنما صمد في كل زمن عند حلول الفتن أهل العلم بالإسلام والسنة، فكان لهم الأجر على أنفسهم وعلى الأمة في كل زمان ومكان.

(١) وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ لعلماء التفسير قولان في تفسير هذه الآية، وبيان من المقصود بها هل هم المؤمنون من أهل الكتاب؟ أم المؤمنون من هذه الأمة؟.

فعلى القول الأول: بأن المراد بهذه الآية هم مؤمنو أهل الكتاب، فإن فضل الإسلام ظاهر من وجهين: =

=**الوجه الأول:** أن الله تعالى دعا أهل الكتاب إلى الإيمان بالرسول ﷺ ومتابعته والانقياد لدين الإسلام وترك الشرائع السابقة التي وإن كانت صحيحة فهي منسوخة بشريعة محمد ﷺ، وبالتالي فإن غيرهم من الوثنيين والمشركين أولى بأن يدخلوا في دين الإسلام، فيظهر فضل الإسلام باعتبار أنه شامل للناس أجمعين.

الوجه الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ فجعل سبحانه أجراً عظيماً مرتباً على الدخول في الإسلام، فمن كان مؤمناً بنبي سابق وأدرك الإسلام وآمن ضوعف له أجره مرتين، وقد جاء هذا الوعد لأهل الكتاب في آية أخرى في سورة القصص، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٥٤﴾ [القصص: ٥٢ ـ ٥٤].

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها، فأحسن غذاءها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران).** [صحيح البخاري: ٩٧ـ صحيح مسلم: ١٥٤، واللفظ لمسلم]. =

=**وعلى القول الثاني**: وهو أن المراد بهذه الآية هم مؤمنو هذه الأمة فدلالتها على فضل الإسلام ظاهرة؛ لأن الله ﷻ رتب على الإسلام أجرين وعلى غيره أجر واحد ـ كما دل عليه حديث ابن عمر ﵄ الذي سيأتي ـ وقد ذهب إلى هذا القول الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه لهذه الآية، وبين أن هذه الآية خطاب للمؤمنين بأنهم إن حققوا الإسلام واتقوا الله وآمنوا برسوله فإن الله جل وعلا يتفضل عليهم، ويمن عليهم بثلاثة أنواع من الفضل:

الأول: أنه يؤتيهم كفلين من رحمته، كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي حظين عظيمين من رحمته، وهذا يشمل رحمة الدنيا التي يحتاج إليها كل الناس، ورحمة الآخرة التي لا ينجو أحد من النار إلا بها.

الثاني: قال: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ وهو نور العلم واليقين والبصيرة، الذي يستطيع المسلم أن يميز به بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال. وهذا النور الذي يجعله الله في قلوب المؤمنين إنما يعظم بعظمة تحصيل الإسلام والاستقامة عليه عقيدة وشريعة، وإذا زاد النور في القلب فإنه يبصر به في ظلمات الشبهات، بل من فضل العلم وأثره على العبد أنه بالقرب من أهل الاستقامة على الإسلام والسنة وطريقة السلف الصالح يمنحه الله ﷻ النور الذي يبصر به ولا يضل به السبيل.

الثالث: قال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فمن فضل الإسلام على=

=أهله أن الإسلام بتحقيقه سبب عظيم من أسباب المغفرة، والله عز وجل قد وعد كل مسلم ومسلمة، وكل مؤمن ومؤمنه بالمغفرة والأجر العظيم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وكلما كان المسلم أقوى في الاستمساك بالإسلام والسنة، والبعد عن الشرك فإنه يكون أقوى في الإتيان بسبب المغفرة، ولهذا جاء في الحديث أن الله عز وجل يقول: **(يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)** [صحيح سنن الترمذي: ٢٨٠٥]. يعني: بملء الأرض مغفرة.

وبعد هذه الآيات ينبغي التنبيه إلى أنه لما جُعل الإسلام مفضلاً على غيره وجعل أهله مفضلين على غيرهم، فإنما يعني ذلك أن التبعة بهذا التفضيل عظيمة. لهذا قال سبحانه في وصف هذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وكلما زاد الفضل زادت التبعة؛ لأن الله عز وجل يؤاخذ الفاضل بما لا يؤاخذ به غيره، ويؤاخذ العالم بما لا يؤاخذ به من ليس بعالم. =

وفي الصحيح(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء(٢)......................

=وهذا يعظم التبعة على كل رافع لراية السنة والتوحيد:

ـ أن لا يتخلف عن التمسك بذلك أولاً.

ـ أن لا ينسب إلى الإسلام والسنة ما ليس منه، لأنه إنما يصف الطريق التي وصفها الله ﷻ، ووصفها رسوله ﷺ وذلك بدلائله من الكتاب والسنة على فهم سلف هذه الأمة.

(١) أي صحيح البخاري /٢١٤٨، وفيه لفظ: **(وأقل عطاء)** بدلاً من: **(وأقل أجراً)**.

وهذا الحديث فيه بيان فضل الإسلام على أهله، وأنهم أعظم أجراً من غيرهم من أصحاب الملل السابقة، وقد ضرب النبي ﷺ هذا المثل لتوضيح هذا الأمر.

(٢) قوله ﷺ: **(مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء)** أي مثل أمة محمد ﷺ، ومثل أهل الكتابين من اليهود و النصارى **(كمثل رجل)**: المُمثل به هو الله ﷻ، حيث هو الذي تعبد عباده بالعبادات، وهو الذي يعطيهم الأجر، فعبر بقوله: **(كمثل رجل)**؛ لأن تمثيل الحقوق في القرآن الكريم بحق الله ﷻ، وحق عباده ونحو ذلك يكون بالرجل ومن=

فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط⁽¹⁾؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط⁽²⁾؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم فغضبت اليهود والنصارى⁽³⁾، ....

=يعمل عنده، كقوله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٧٦﴾ [النحل: ٧٦]، ونحو ذلك من الآيات التي يضرب فيها المثل بما يقرب الأمر إلى سامعه.

(١) قوله: **(من غدوة إلى نصف النهار)**: من أول النهار إلى الظهر **(على قيراط)**: القيراط جزء من أجزاء الدينار. [النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/١٤٢]، وقد كان متعامل به سابقاً.

(٢) قوله: **(من نصف النهار إلى صلاة العصر)**: من صلاة الظهر إلى صلاة العصر.

(٣) قوله: **(فغضبت اليهود والنصارى)**: متى كان هذا الغضب؟.

ـ قال بعض العلماء: يحتمل أن ذلك مذكوراً عندهم في الكتب السابقة فهم علموا أن هذه الأمة تعمل أقل منهم، وتنال أجراً أكثر منهم فغضبوا.=

وقالوا: مالنا أكثر عملاً وأقل أجراً؟ قال: هل نقصتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: ذلك فضلي أوتيه من أشاء)(١) ....

= ـ وقال بعض أهل العلم: أن هذا يظهر لهم يوم القيامة، وإنما عبر بالماضي؛ لأن وقوع هذا الشيء متحقق.

ولكن ليس المراد كل اليهود والنصارى، وإنما كفارهم هم الذين غضبوا كما ذكر ذلك أهل العلم؛ لأن الاعتراض على قدر الله وشرعه كفر.

(١) قوله: **(ذلك فضلي أوتيه من أشاء)**: لا حجر على الله ﷻ، وهو لا يظلم أحداً فيبخسه حقه، والله حكم عدل يجازي على العمل ويزيد، والزيادة فضل منه سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠].

فهذا فضل الله سبحانه على هذه الأمة، ولا اعتراض عليه في تفضيله لها على غيرها من الأمم، وهو سبحانه أعلم بمواقع فضله، وهو أعلم بخلقه ومن يستحق الفضل، فالجزاء على العمل عدل، والزيادة على الجزاء فضل منه ﷻ.

إذاً من هذا الحديث يتبين لنا فضل الإسلام من جهتين:

١ـ **فضله على أهله**: بأنهم خصوا بزيادة الأجر على غيرهم من الأمم.

٢ـ **وفضله في ذاته**: بأن العمل الذي يقع في شريعة الإسلام يفضل على العمل الذي يقع في الشرائع السابقة. =

وفيه أيضاً(١) عن أبي هريرة ﷺ(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: (أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت، ....

=وفي قوله ﷺ: **(ذلك فضلي أوتيه من أشاء)**: لفتة عظيمة ينبغي التفطن لها وهي: أن هذا الفضل المذكور في الحديث ـ مضاعفة الأجر لهذه الأمة ـ إنما هو من الله جل وعلا، وإذا كان من الله جل وعلا فإن فضل الإسلام على أهله إنما هو من الله ﷻ، وهذا يجعل المسلم دائم التعلق بالله جل وعلا معرفة منه بفضل ربه عليه في دينه هداية، وفي أجره عليه.

ـ فمن الذي هدى عباده للإسلام؟

ـ ومن الذي هداك للاستقامة على السنة؟

ـ ومن الذي تفضل عليك بالنور بعد ذلك؟

ـ ومن الذي تفضل بالحظين من الرحمة والكفلين من الأجر؟

فحينئذ يكون الأمر من الله جل وعلا وإليه ابتداء وانتهاء، وهذا يجعل قلب المسلم موطّناً على محبة الله ﷻ والذل له والاعتراف له جل وعلا بالفضل والإحسان دائماً وأبداً.

---

(١) أي في صحيح مسلم: ٨٥٦. والضمير في قوله (وفيه): يعود على الصحيح لا على البخاري.

(٢) هذا الحديث ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ بنحوه واللفظ الذي ساقه المؤلف إنما هو من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ.

و[كان] للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا [الله] ليوم الجمعة [فجعل الجمعة والسبت والأحد]، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة)[1] ....

---

[1] في هذا الحديث بيان فضل الإسلام على الأديان السابقة، وفضل أهله فهم أفضل الأمم في الدنيا والآخرة.

ومعنى الحديث: أن الله ﷻ ابتلى الأمم من قبلنا في يوم يتخذونه عيداً فأمرهم بيوم، وأعمى ذلك اليوم عليهم.

ـ فاجتمعت اليهود وأجمعت على أن ذلك اليوم هو يوم السبت، وقالوا: لأنه اليوم الذي استراح الله فيه ـ قبحهم الله ـ بعد أن تعب من خلق السموات والأرض، فكان بداية الخلق يوم الأحد، ونهايته يوم الجمعة ولم يكن في يوم السبت خلق فاستراح فيه الله ﷻ ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ فجعلوا هذا اليوم عيداً. فرد الله تعالى عليهم بقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨].

ـ واجتمعت النصارى على أن عيدهم يوم الأحد وقالوا: لأنه هو اليوم الذي ابتدأ الله فيه الخلق.

ـ أما هذه الأمة فإن الله ﷻ هو الذي اختار لها يوم الجمعة لأنه أفضل=

وفيه تعليقاً[1] عن النبي ﷺ أنه قال: ....

=الأيام، ولأنه تكامل فيه الخلق، وفيه خلق آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل العبد ربه فيه عطاء إلا استجيب له، وفيه تقوم الساعة، فهو اليوم العظيم الذي حدثت فيه الحوادث العظيمة، وسيحدث فيه الحدث العظيم وهو قيام الساعة.

فاليهود والنصارى تبع لنا في الدنيا، حيث إن يوم الجمعة يتبعه السبت والأحد. وكذلك هم تبع لنا في الآخرة وذلك لأن هذه الأمة تبعث قبل الأمم، وتحشر أول الأمم، وهي أول الأمم حساباً، وأول الأمم دخولاً الجنة، ولهذا جاء في آخر الحديث: **(نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة)**.

إذاً فضل الإسلام على ما سبق ظاهر، حيث إنهم في الدنيا هم المتبوعون وفي الآخرة تتقدم هذه الأمة على غيرها من الأمم فتكون الأولى يوم القيامة، وهذا دليل على شرف منزلتها في الدنيا والآخرة؛ حيث إنها الآخرة وجوداً في الدنيا، والأولى دخولاً الجنة في الآخرة.

(١) أي في صحيح البخاري في باب الدين يسر، في كتاب الإيمان من أول صحيح البخاري [١ : ٢٣].

والمعلق: هو الذي حذف من مبتدأ إسناده راوٍ أو أكثر، وقد يحذف الإسناد كله. وهو على قسمين: =

(أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة)(١) ....

=أ) معلق مجزوم به: وهو ما كان بصيغة الجزم كـ(قال) و(ذكر) و(روى).

ب) معلق غير مجزوم به: وهو ما كان بصيغة التمريض كـ(قيل) و(ذُكر) و(رُوي).

وقد حصر الحافظ ابن حجر معلقات البخاري، وذكر أسانيدها في كتابه «تغليق التعليق» وهذا التعليق من المجزوم به.

والمعلق يعتبر من الحديث الضعيف، إلا أن وجوده في الصحيحين أو أحدهما يؤنس بصحته، لأنهما اشترطا على نفسيهما الصحة في كتابيهما فلا يخرجان إلا الصحيح فقط.

(١) قوله ﷺ: **(أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة)**.

ـ في قوله **(الدين)** هل الألف واللام للعهد أم للجنس؟

بمعنى: هل الألف واللام للجنس: فيكون المراد جميع الأديان، أي أحب الأديان إلى الله ﷻ الحنيفية السمحة التي هي دين الإسلام ودين محمد ﷺ، أم أن الألف واللام للعهد فيكون المراد: الدين المعهود، وهو دين الإسلام، فيصبح المعنى: أحب خصال الدين الذي هو الإسلام الحنيفية السمحة، أي ما كان على وفق السنة، وكان سمحاً سهلاً.

وعلى هذا بحسب توجيه كلمة **(الدين)** يختلف معنى **(أحبّ)**.

فعلى المعنى الأول: وهو أن الدين للجنس تكون **(أحبُّ)** أفعل بمعنى=

=(مفعول) يعني محبوب الدين إلى الله الحنيفية السمحة ؛ لأن الأديان السابقة ليست محبوبة لله جل وعلا بعد مجيء الإسلام، فتكون أفعل هنا ليست على بابها في التفضيل ؛ وإنما بمعنى مفعول : أي محبوب الدين عند الله.

وعلى المعنى الثاني: وهو أن الدين للعهد، وأن المقصود هو دين الإسلام يكون (**أحبُّ**) على بابها ـ في التفضيل ـ والمعنى : أحب خصال الإسلام وشرائع الإسلام إلى الله ﷻ الحنيفية السمحة، وهذا هو الذي فهمه البخاري، حيث أورد الحديث في كتاب (الإيمان) ليدل على يسر الدين أولاً، وأن أيسر الدين أحبه إلى الله ﷻ، وليدل على أن الأعمال من الإيمان.

ـ قوله: (**الحنيفية السمحة**): يقول ابن القيم (جمع الله ﷻ في هذه الشريعة بين كونها حنيفية، وكونها سمحة فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل) [إغاثة اللهفان: ١ / ١٠٨].

فالحنيفية في الأصل هي ملة إبراهيم الخليل ﵇، وهي التي أوحي إلى محمد ﷺ أن يتبع ملته، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل: ١٢٣].

والحنيفية : مأخوذة من الحنف، وهو الميل عن جميع طرق الضلال إلى الطريق الذي رضيه الله ﷻ، أي مالت عن الشرك إلى التوحيد.

والحنيف : هو المقبل على الله، المعرض عما سواه، فإبراهيم ﵇، كان مقبلاً على الله ﷻ، معرضاً عمن سواه من الخلق، ولذا امتدحه الله ﷻ=

=فقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل: ١٢٠].

ـ وإذا كانت (الحنيفية) بمعنى الميل فإنها قد تكون:

أ) في العقيدة والأصل والتوحيد، لأن العقيدة في باب العلم تحتاج إلى ميل من الغلط إلى الصواب.

ب) في الشريعة، في باب الأهواء والشهوات فنحتاج إلى ميل عن طريق الشهوة إلى طريق الاتباع والاستقامة.

ـ ومعنى **(السمحة)**: الميسرة السهلة، وفي هذا الحديث بيان أن الله ﷻ منَّ على هذه الأمة بأن جعل دينها حنيفاً سمحاً سهلاً، بخلاف الأمم السابقة التي ابتلاها بالآصار والأغلال، قال تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومن صور الآصار التي كانت على الأمم السابقة ما نقله الدكتور فرج الفقيه في كتابه [مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية ص ٤٤٣] حيث قال: (جاء في سفر الخروج: إذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات، يرجم الثور، ولا يؤكل لحمه، وأما صاحب الثور فيكون بريئاً، ولكن إن كان ثوراً نطاحاً من قبل، وقد أشهد صاحبه، ولم يضبطه فقتل رجلاً أو امرأة فالثور يرجم، وصاحبه أيضاً يقتل) وقد نقل ذلك تحت عنوان: (التشديد في العقوبة حتى شملت الحيوان). =

=ونقل صورة أخرى تحت عنوان: (التشديد في الأوامر) [ص ٤٤٨] حيث قال: (جاء في إنجيل متى وإنجيل مرقس ما يلي: وقد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزن، وأما أنا أقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة فيشتهيها فقد زنى بها في قلبه، فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها، وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله في جهنم، وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها، وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم).

وقد خفف الله تعالى على هذه الأمة حتى أصبح سمتها وسمة دينها اليسر والسهولة، وصارت قاعدة من قواعد الشريعة: أن الحرج في العبادات مرفوع، وأنه لا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة، وأن المشقة تجلب التيسير، حتى اختص الله تعالى هذه الأمة بأنها لا تؤاخذ بما حدثت به نفسها ما لم تعمل أو تتكلم، كما جاء في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال: **(إن الله ﷻ تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به)** [متفق عليه، صحيح البخاري: ٢٣٩١. صحيح مسلم: ١٢٧، واللفظ له] وهذا يدل على فضل الإسلام في نفسه، وفضله على أهله، فالإسلام أسمح الأديان في رفع المشقة عن العباد، ومضاعفة الأجور لهم، ومغفرة الذنوب.

تنبيه:ـ مسألة اليسر والسهولة مما تختلف فيه الأفهام، فينبغي ضبطها بأنها على أحد وجهين: =

=**الأول**: أنها منصوصة في الشريعة (الكتاب ـ السنة) فإذا كان منصوصاً عليها كانت محبوبة إلى الله عز وجل، مثال ذلك: الإفطار في السفر، وقصر الصلاة في السفر لعلة السفر، والحكمة رفع المشقة فإن الفطر والقصر أفضل في السفر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه.

الثاني: أن يكون التيسير والسماحة التي حكم بها قد قررها إمام أو عالم مجتهد يصلح الاجتهاد من مثله بتطبيق أصول وقواعد الشرع، ومنها قاعدة (المشقة تجلب التيسير) أو (الضرر يزال) أو نحو ذلك من القواعد فإذا جاء الحكم اليسير عن اجتهاد صحيح في تطبيق قواعد رفع الحرج، فإن هذا يكون من الدين الذي هو أحب إلى الله عز وجل من غيره، ولهذا كان سفيان الثوري رحمه الله يقول: (التشديد يحسنه كل أحد، وإنما العلم الرخصة تأتيك من الفقيه).

فإن تبين ذلك، فإن الناظر في أحكام الشريعة الإسلامية يجدها مبنية على السماحة واليسر في باب الطهارة وأحكام المياه، والآنية، وأحكام الصلاة والزكاة، والصيام، والحج......الخ، وكلما كان الأمر أيسر كان أحب إلى الله تعالى، وهكذا كان الرسول ﷺ كما قالت عائشة رضي الله عنها: **(ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً)** [صحيح البخاري: ٣٣٦٧] لأنه يحب ما يحبه الله تعالى، وأحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة.

قال الشعبي رحمه الله: (إذا اختلف عليك أمران فإن أيسرهما أقربهما إلى=

وعن أُبيّ بن كعب ﷺ قال: (عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر [الرحمن] ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار، وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من [مخافة] الله إلا كان [مثله] كمثل شجرة يبس ورقها [فبينا هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحاتت عنها ورقها] إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحاتّ عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصاداً في [سبيل] وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة)[1] ....

=الحق، لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]) [نضرة النعيم: ٤/ ١٤١٩].

والسماحة ليست فقط في الأحكام العملية، وإنما تشمل الأحكام العلمية الاعتقادية؛ لأن الإسلام دين الفطرة، ليس فيه تعقيدات كلامية، ولا مباحث فلسفية لا يفهمها إلا خواص الناس، بل كل أحد يفهم الإسلام عقيدة وشريعة إذا شُرح بعبارات سهلة.

وأما ما أحدث في هذه الأمة من الأقوال المتفرقة، ومما يسمونه الفلسفة الإسلامية أو التعقيدات التي لا تصلح لجمهور الأمة، فإن هذا بلا شك مما يجزم أنه ليس مما يحبه الله ﷻ؛ لأنه ليس من الحنيفية السمحة.

(١) هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه /١٧٣٧٥، وابن بطة في=

=الإبانة/٢٥٠، وأبو نعيم في الحلية ١/٢٥٣، بنحوه وهذا الأثر في بيان فضل الإسلام، وأن من كان على الإسلام الحق، وهو السبيل والسنة فإن عمله يكون مقبولاً عند الله ﷻ ومن آثاره أن الله ﷻ يحط عنه خطاياه.

ويعني بقوله: **(عليكم بالسبيل والسنة)**: الزموا السبيل والسنة، والمراد بالسبيل: سبيل محمد ﷺ، وسبيل صحابته ﵃، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ففي هذه الآية وحَّدَ الصراط، وجعله صراطاً واحداً، وسبيلاً واحداً وهو الذي يجمع أمور الإسلام على تفاصيلها وأمور السنة على تفاصيلها، وأما السبل الأخرى والأهواء فعلى كل سبيل منها شيطان يدعو الناس إلى دخوله.

مسألة مهمة:

ورد في سورة العنكبوت قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فجمعت فيها السبل، وفي الآية المذكورة آنفاً ذُكر سبيل واحد، وهي التي في سورة الأنعام، حيث وحَّد الصراط فيها وهو السبيل، وكذا في أثر أُبيّ ﵁ فهل هناك تعارض بين هذه النصوص؟

الجواب: ليس هناك تعارض، ولكن السبيل المقصود به: سبيل الإسلام=

=والسنة، وهذا في داخله تفاصيل، ففيه سبيل الصلاة، وسبيل الزكاة وسبيل الصلة، وسبيل أعمال القلوب ..... الخ مما يحتاج إليه الناس مفصلاً في أمور دينهم، وفي عباداتهم العلمية والعملية.

فيكون المراد بقوله تعالى: ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ المقصود بها: تفاصيل السبل وهي كلها سبيل واحد، وصراط واحد دل عليه قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾.

وقوله: (**فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار...**): يريد بذلك أن الفضائل التي جاءت في الأحاديث إنما يحظى بها من كان على السبيل والسنة، فقد جاء عنه ﷺ أنه قال: (**عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**) [صحيح سنن الترمذي: ١٣٣٨].

فبين أُبيٌّ رضي الله عنه أنه إنما يحظى بهذا الفضل من كان على سبيل وسنة، وأما الذي يبكي وهو على بدعة فهذا لا ينفعه بكاؤه ولا خشوعه ولا خشيته. فكثير من النصارى والقبوريين والمبتدعة يبكون ويخشعون، ولكن على غير هدى، وعلى غير سبيل وسنة، فلا يؤجرون على هذا البكاء ولا ينفعهم عند الله عز وجل، فليست العبرة بالبكاء والخشوع وإنما العبرة بما عليه العبد هل هو على سبيل وسنة فيؤجر، أما على بدعة وضلالة فلا ينفعه بكاؤه وخشوعه. =

=ثم قال: **(وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من مخافة الله إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها، فبينا هي كذلك إذ أصابتها الريح...)**: يعني أنه إذا كان على سبيل وسنة فإنه تتحات ذنوبه كما تتحات أوراق الشجر اليابس، وهذا كما جاء في الحديث: **(يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)** [صحيح سنن الترمذي: ٢٨٠٥]، وهذا يدل على عظم شأن التزام المنهج الذي خُص به النبي محمد ﷺ، وهو السبيل والسنة الذي كان عليه هو وصحابته ﷺ، فمن أراد أن ينجو فليرجع ببصره وبصيرته وقلبه إلى ما قبل حدوث تلك الفرق والأهواء، إلى الزمن الذي أجمع فيه المسلمون على العقيدة والسبيل والسنة، وهو زمن الصحابة ﷺ قبل حدوث الاختلاف، فليس منهم من ابتدع بدعة، بل نجاهم الله من البدع والمحدثات.

ثم قال: **(وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة)**: وذلك أن الله ﷻ يبارك في قليل العمل إذا كان على سبيل وسنة وعلى وفق السنة، فإن الله يحبه ويحب صاحبه ويثيبه ويبارك له وينمي له عمله.

وأما إذا كان العمل على غير سبيل وسنة، فإنها حينئذ تكون محدثات وبدع فيؤاخذ عليها، ويكون عاصياً لله ﷻ بها متبعاً غير سبيل المؤمنين، فمهما=

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: (يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى [وصيامهم]؟ [ولمثقال] ذرة من برٍّ مع تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من [أمثال الجبال] عبادة [من] المغترين)[1].

=كان العمل كبيراً وهو على غير هدى فإنه لا يؤجر عليه؛ لأن العبرة ليست بكثرة العمل، وإنما العبرة باتباع السنة. فربما عمل قليل على سنة يدخل صاحبه الجنة، وعمل كثير على بدعة يدخل صاحبه النار، والعياذ بالله.

ففي هذا الأثر بيان فضل الإسلام الصحيح، الذي هو التزام بالسبيل والسنة على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وأن من التزمه بارك الله له بالعمل القليل، وضاعف له الأجور، بخلاف من خالف السبيل والسنة من أهل البدع، فإنه مهما اجتهد في العمل فإنه لا ينفعه؛ لأنه يعمل على غير جادة وعلى غير أصل، والله ﷻ لم يبتل الناس بكثرة العمل، وإنما ابتلاهم بحسنه، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

(١) قوله: **(وعن أبي الدرداء ﷺ قال: (يا حبذا نومُ الأكياس وإفطارُهم، ...)**: هذا الأثر أخرجه الإمام أحمد في كتابه (الزهد) /٧٣٧ ـ وأبو نعيم في (الحلية) ١/٢١١، وهو وإن كان في سنده جهالة الراوي=

=عن أبي الدرداء، إلا أن هذا الأثر تشهد له نصوص الكتاب والسنة. والآثار لا يتشدد في إثباتها، كما يتشدد في إثبات الأحاديث.

وفي قول أبي الدرداء: (**يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصيامهم**): بيان لأثر الإخلاص وصحة المعتقد في قبول العمل ونمائه، فيقول: إن العبد قد لا يكثر من الصيام والصلاة النافلة ولكن مع ذلك معه تقوى ـ خوف من الله ﷿ ـ ومعه يقين ـ صدق في إيمانه وعقيدة صحيحة لا شبهة فيها ولا شك ـ فيكون أفضل ممن سهر ليله بالقيام، وأظمأ نهاره بالصيام مع فقده لهاتين الصفتين، أو مخالفته للسبيل والسنة.

ـ وهذا الأثر فيه أيضاً بيان درجة عالية، وهي أعلى درجات الدين، وهي الإحسان، وأن من عمل عملاً مشتملاً على برٍّ وتقوى، أكمل وأعظم ممن عمل عملاً وكان برُّ صاحبه وتقواه أقل من الأول؛ لأن الاعتبار في العبادات في أصلها بما يقوم في القلب من التقوى والإخلاص، ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]. فدل ذلك على أن المعتبر هو الإخلاص في القلب، وصدقه مع ربه ﷿. والناس يتفاوتون في هذا، وهذا ما فضل به أبو بكر الصديق ؓ على سائر الأمة، فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل في كتابه [فضائل الصحابة ١/١١٨] بإسناد صحيح إلى بكر بن عبد الله المزني أنه قال: (إن=

=أبا بكر لم يفضل الناس بأنه كان أكثرهم صلاة وصوماً، إنما فضلهم بشيء كان في قلبه).

وهذا معنى كلام أبي الدرداء رضي الله عنه حكيم هذه الأمة عندما قال: **(ولمثقالُ ذرةٍ من برّ مع تقوى ويقين أعظمُ وأفضلُ وأرجحُ من أمثال الجبال عبادةً من المغترين)** قوله: و**(لمثقالُ ذرةٍ)**: أقل القليل. **(من بر)**: عمل صالح متيقن على سبيل وسنة. **(مع تقوى)**: مع خوف من الله جل وعلا وعدم اغترار بالعمل. **(ويقين)**: اليقين هو الصدق في الاعتقاد والصواب فيه فيكون **(مثقال ذرة من بر)** مع هذين الشرطين **(التقوى واليقين)** أعظم وأفضل وأرجح **(من أمثال الجبال عبادة من المغترين)** الذين اغتروا بكثرة عبادتهم أو جهادهم، أو اغتروا ببذلهم في الدعوة ونحو ذلك. وهذه الكلمة من فقهه العظيم رضي الله عنه، وهكذا كان طريق الصحابة رضي الله عنهم.

لهذا وصف النبي ﷺ الخوارج بأنه: (يحقر أحدُكم صلاته مع صلاتهم وصيامَه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة) [متفق عليه، صحيح البخاري: ٣٤١٤ ـ صحيح مسلم: ١٠٦٤].

فليست العبرة بكثرة العبادة أو الجهاد أو الدعوة، وإنما العبرة بموافقة السبيل والسنة مع التقوى واليقين. وقد سئل الحسن البصري رحمه الله: لم كان الصحابة أفضل، مع أن من التابعين من هم أكثر منهم عبادة؟ فقال=

=رَحِمَهُ اللهُ: (أولئك تعبدوا والآخرة في قلوبهم، وهؤلاء تعبدوا والدنيا في قلوبهم).

ومما سبق يتبين لنا فضل الإسلام على أهله، ومن ذلك ما اختصت به من بين سائر الأمم من:

١ ـ مضاعفة الأجور.

٢ ـ اختصاصها بيوم الجمعة.

٣ ـ سهولة الدين ويسره.

٤ ـ التجاوز عن حديث النفس.

٥ ـ رفع الإثم عن المخطئ والناسي والمكره.

٦ ـ التوبة بشروطها ـ الميسرة ـ.

وغير ذلك من الخصائص الدالة على سعة فضل الله تعالى ورحمته بهذه الأمة.

* * *

باب وجوب الإسلام(١)

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾(٢) [آل عمران: ٨٥].....................................

---

(١) بعد أن بين المصنف رحمه الله في الباب الأول فضل الإسلام، وما يحظى به أهله إذا التزموا به واستقاموا عليه من الفضل العظيم في الدنيا والآخرة بيَّن هنا أن هذا الإسلام الذي ذاك فضله، ليس الدخول فيه دخولاً اختيارياً بل يجب الدخول في الإسلام على كل أحد بعد بعثة الرسول ﷺ، لقوله ﷺ: **(والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)** [صحيح مسلم: ١٥٣]؛ وذلك حتى لا يُظن مع ذكر الفضائل أن المسألة اختيارية، بل الإسلام يجب الدخول فيه، سواء كان ذلك الدخول في الإسلام من ملل الكفر و الوثنيات، أو كان الدخول في الإسلام كافة أصولاً وفروعاً من قِبل أهله.

(٢) هذه الآية تدل على وجوب الدخول في الإسلام؛ لأن الله تعالى ذكر فيها أن من طلب ديناً غير دين الإسلام فلن يُقبل منه ذلك الدين، وهو في الآخرة من الخاسرين، فانحصر بعد ذلك أن يكون الإسلام هو المتعين على كل أحد أن يدخل فيه، لأنه إذا تعبد الله بيهودية أو نصرانية، أو مجوسية =

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾(١) [آل عمران: ١٩]......

=أو صابئة أو نحوها من الملل والنحل والأهواء فإنه لا يُقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين. وقوله: ﴿وَمَن﴾ عامة تشمل الجميع ذكراً و أنثى حراً وعبداً، عربياً وعجمياً، إنسياً وجنياً، فدل هذا على وجوب الدخول في الإسلام الخاص الذي بُعث به النبي ﷺ.

وهكذا أيضاً في المعنى الأخص، وهو من ابتغى عملاً ليس هو من الأعمال التي أمر الله جل وعلا بها، وجاءت بها السنة مثل المحدثات المختلفة والعقائد المتنوعة التي أحدثت في هذه الأمة مثل عقيدة الخوارج، والمرجئة والمتصوفة، والقدرية.... ونحو ذلك، فإنه لن يقبل منه، وهو سوف يخسر بحسب ما فعل. فقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، الخسارة هنا بحسبها:

أ) قد تكون خسارة كبرى: بأن يخسر الجنة، ويدخل النار، ويكون من المخلدين فيها.

ب) وقد تكون خسارة صغرى: بأن يخسر الدخول في الجنة أولياً والسلامة من العذاب مطلقاً، ولكن يعذب بقدر ما عنده من مخالفة إن لم يغفر الله له ويتجاوز، ثم يدخل الجنة.

(١) ما المراد بالإسلام في هذه الآية هل هو العام أم الخاص؟ =

= ـ ذكر بعض أهل العلم أن المراد بالإسلام في هذه الآية: الإسلام العام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، وإخلاص الدين لله تعالى، وهو دين جميع الأنبياء من لدن نوح عليه السلام إلى عيسى عليه السلام.

ولهذا نقل ابن القيم في سبب نزول هذه الآية ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما، أنه افتخر المشركون بآبائهم، فقال كل فريق: لا دين إلا دين آبائنا، وما كانوا عليه، فأكذبهم الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ يعني الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو دين الأنبياء من أولهم إلى آخرهم، ليس لله دين سواه. [التفسير القيم للإمام ابن القيم ص ٢٠١].

ـ واستدل بعض العلماء بهذه الآية على الإسلام الخاص الذي بُعث به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والذي لا يُقبل من أحدٍ غيره بعد بعثته، وإن كان على دين النبي السابق، فلا يُقبل منه إلا الإسلام الذي هو شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومن استدل بها على الإسلام الخاص الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

فالآية لها عموم وخصوص، فهي عامة في جميع الديانات الشرعية التي أنزلها الله عز وجل، فلا يقبل الله من جميع الأمم إلا الإسلام. وهي خاصة بهذا الدين بعد أن نسخ الله الأديان السابقة، وختمها بهذا الدين الذي أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾: هذا خبر، فإذا كان الدين=

وقول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾(١) [الأنعام: ١٥٣].........................

=عند الله هو الإسلام، فإن من عبد الله بغير الإسلام لم يكن مطيعاً لربه لأنه لم يحصل له تحقيق الدين لله ﷻ، والدين: هو الذل والخضوع لله ﷻ، فمن عبد الله باليهودية، أو النصرانية، أو أي ملة أخرى، كان عاصياً لله ﷻ مخالفاً لهذه الآية، فدل ذلك على وجوب الدخول في الإسلام؛ لأن الدين انحصر فيه، وهذا ظاهر من الآية.

(١) هذه الآية هي آخر الوصايا العشر التي في سورة الأنعام، وهي ظاهرة الدلالة على وجوب الدخول في الإسلام، حيث أمر الله ﷻ فيها باتباع صراطه المستقيم، والصراط المستقيم: ذكر الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ بأنه فُسِّر في هذه الآية بأنه السُنة، وأنه الإسلام والقرآن، وأنه النبي محمد ﷺ، وهذه كلها متلازمة، وذلك لأن الدخول في الإسلام يقتضي العمل بالقرآن والسنة، ومتابعة النبي ﷺ فيما أخبر به عن ربه جل وعلا.

ـ كما دلت الآية على أن اتباع الصراط الذي هو الإسلام والسنة واجب بأمر الله جل وعلا، وأن اتباع غيره من الأهواء والشبهات والبدع محرم لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾. فهذا أمرٌ منه بسلوك طريق الإسلام والسنة، وترك ما سواه من النحل والبدع والمذاهب=

قال مجاهد: السبل: البدع والشبهات(١) ....

=والفرق، لأنها كلها تؤدي إلى الهلاك، فمن أراد النجاة يمشي مع الصراط، ولا يلتفت يمنةٍ ولا يسرةٍ.

(١) وقوله: **(قال مجاهد: السبل: البدع والشبهات)**: أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٥ / ٣٩٧] وهذا من تفسير اللفظ ببعض آحاده، واللفظ جامع فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾: أي جميع السبل التي هي غير الإسلام فإن اتباعها ضلال.

والناس في اتباع السبل على فريقين:

أ) إما أن يتبع سبيلاً منافياً للإسلام بالكلية كاليهودية والنصرانية والبوذية ونحوها، فهذا كافر.

ب) وإما أن يكون أصله مسلماً، ولكن اتبع الأهواء والبدع، فهذا بدعته قد تكون مكفرة مخرجة عن الملة، وقد تكون غير مكفرة، ولكن تقدح في دينه، وتنقص من إيمانه، وإن كان لا يزال مسلماً.

ـ فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾: عام في جميع السبل، سواء كانت كفرية أو بدعية، فإن العبد منهيٌّ عنها؛ لأنها تميل به عن دين الإسلام إما كلياً أو جزئياً.

يقول الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ تعليقاً على كلام مجاهد رحمه الله: =

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) أخرجاه. وفي لفظ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[1] ....

=(نعم هي البدع والشبهات التي تتفرق بأصحابها ، كل حزب بما لديهم فرحون. قال تعالى : ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٣]. وهذا من تمام العقوبة ، أن الإنسان يفرح بالباطل ، وإذا فرح بالباطل لم يتركه). اهـ.

(١) الحديث الأول متفق عليه. [صحيح البخاري: ٢٥٥٠ ـ وصحيح مسلم: ١٧١٨] والحديث الثاني أخرجه مسلم في [صحيحه: ١٧١٨].

وهذان الحديثان ميزان الأعمال الظاهرة للعبد ، كما أن حديث : **(إنما الأعمال بالنيات....)** ميزان الأعمال الباطنة ، فمن صحت نيته في باطنة واستقام في ظاهرة على وفق السنة ، فإنه حينئذ مقبول العمل ، وأما إذا فات أحدهما فليس بمقبول العمل.

ـ فمن فاته الإخلاص كان عمله رياءً.

ـ ومن فاته المتابعة كان عمله بدعة.

ما الفرق بين الحديثين؟

قوله ﷺ : **(من أحدث في أمرنا هذا...)** : يشمل الذي ابتدع البدعة=

=وأحدث الحدث، ولو لم يعمل بذلك. فمن أحدث الحدث فهو مردود عليه، ولن يُقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين.

وقوله ﷺ: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا...)**: هذا يشمل الذي يعمل بالبدعة ولو لم يحدثها.

والبدع على نوعين:

أ) بدع في الدنيا: وهذه غير داخلة في النهي، ولهذا توسع الصحابة في أمور الدنيا على حسب المصلحة.

ب) بدع في الدين: وهذا هو المردود جملة واحدة، فلا يجوز لأحد أن يحدث في الدين، سواء كان الحدث في الأمور العلمية (الاعتقادية) أم الأمور العملية. فالبدع كلها مذمومة.

ـ ما هو تعريف البدعة؟

عرفت البدعة بـ: ما أحدث على خلاف الحق المتلقى عن رسول الله ﷺ في قول أو عمل أو اعتقاد، وجُعل ذلك هدياً ملتزماً وطريقاً مسلوكاً.

ويتحصَّل من هذا التعريف أربعة أمور:

الأول: أن البدعة قد تكون في الأقوال، أو الأفعال، أو الاعتقاد.

الثاني: أن البدعة لم تكن في عهد النبي ﷺ ولا في عهد صحابته.

الثالث: أن البدعة يقصد بسلوكها التقرب إلى الله ﷻ.

الرابع: أن البدعة ملتزمة، يعني أنه جعلها طريقة تضاهي الطريقة=

=المشروعة في الالتزام، أما إذا لم يلتزم بالقول أو العمل فيكون خلاف السنة.

وتنقسم البدع من حيث الحكم إلى:

أ) بدعة كفرية:

١ ـ إما عقدية: ومثال ذلك: سلب الرب ﷻ عن جميع صفاته، كما فعل الجهم بن صفوان.

٢ ـ أو عملية: مثل الاستشفاع بالموتى، وهو شرك أكبر مخرج عن الملة، وهو بدعة محدثة في هذه الأمة.

ب) بدعة دون الكفر:

١ ـ إما عقدية: كبدع الإرجاء وبدع الخوارج، وتأويل الصفات، وبدع القدرية... الخ.

٢ ـ أو عملية: مثل الصلوات المبتدعة، والأذكار المبتدعة وغير ذلك وهذه كلها لا تصل إلى الكفر والشرك.

والبدع العملية قسمان:

أ) بدع أصلية: وهي ما أحدث وليس له أصل يتبعه مثل: إحداث بدعة الموالد أو المآتم، أو نحو ذلك مما لم يكن له أصل في الشريعة.

ب) بدع إضافية: أصل العمل مشروع، ولكن زيد عليه أشياء صارت بدعة، مثل: الاجتماع على الذكر على نحو ما، أو التزام رفع اليدين بالدعاء بعد الفريضة. =

وللبخاري(١) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قيل: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)(٢)..............................

=مسألة: ما مناسبة هذا الحديث لباب (وجوب الدخول في الإسلام)؟

مناسبته أنه يجب على العبد أن يدخل في الإسلام الصحيح، ويكون متابعاً للنبي ﷺ، وهو ما يعبر عنه أهل العلم بتوحيد المرْسَل.

لأن هناك توحيدان كما ذكر بعض أهل العلم ـ وهما:

أ) توحيد المرسِل: وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، سمي بهذا الاسم، لأن الله ﷻ هو الذي أرسل الرسل.

ب) توحيد المرسَل: يعني طاعة النبي ﷺ، واتباعه فيما جاء به من عند الله تعالى.

إذاً لا يكون دخول العبد في الإسلام دخولاً صحيحاً كما أمر إلا بمتابعة النبي ﷺ، والحذر من البدع والمحدثات، وبهذا يظهر مناسبة الحديث للباب، والله أعلم.

(١) صحيح البخاري: ٦٨٥١، بلفظ **(قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟)**.

(٢) هذا الحديث فيه حثٌ على الدخول في الإسلام، فمن أراد الجنة دخل في الإسلام، إذ ليس للجنة طريق إلا الإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ =

=ولا يمكن الدخول في الإسلام إلا بطاعة الرسول ﷺ، فإذا لم يطع الرسول ﷺ ويلتزم بسنته فإنه لم يدخل في الإسلام كله، والله تعالى أمر بالدخول في الإسلام كله، في قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدۡخُلُوا۟ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ففي هذه الآية أمر من الله ﷻ للمؤمنين أن يدخلوا في ﴿ ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾: أي جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، بل يكون هواه تبعاً للدين. [تفسير السعدي باختصار ١/٢٥٥].

وفي هذا الحديث تعظيم لطاعة الرسول ﷺ، وأن من أطاعه فإنه موعود بدخول الجنة: **(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)**.

وقد جاء الأمر بطاعة الرسول ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن الكريم من ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

- وقوله تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

وقوله ﷺ: **(كل أمتي)** ما المراد بالأمة هنا، هل هم أمة الدعوة، أم أمة الإجابة؟

البعض قال: أن المراد أمة الدعوة وهي من بعثة النبي ﷺ إلى قيام=

=الساعة، فهذه تُسمى أمة الدعوة، لأن النبي ﷺ بُعث إليهم يدعوهم إلى الإسلام، فيكون المراد: أنه لا يدخل الجنة إلا من كان على الإسلام فمن لم يستجب للرسول ﷺ، ولم يكن مسلماً فلا يدخل الجنة، وعبَّر بقوله: **(يدخلون الجنة)** للتشويق في التزام الطاعة. ولكن هذا ليس بجيد.

والقول الثاني: وهو الصحيح: أن المراد بقوله: **(أمتي)**: أمة الإجابة وهم أهل الإسلام، كلهم يدخلون الجنة إلا من أبى دخول الجنة، وذلك بعصيان الرسول ﷺ، وعلى هذا كل من عصى الرسول ﷺ لا يدخل الجنة؛ لأنه حينئذ يكون معرضاً للوعيد.

لكن الدخول إلى الجنة على قسمين:

أ) دخول أولي: أي بعد أن ينقضي الناس من الحساب، فإنهم يدخلون الجنة دخولاً أولياً.

ب) دخول متأخر: وهؤلاء هم من شاء الله تعالى أن يعذبهم من أمة محمد ﷺ فيدخلون النار، ويعذبون بقدر ذنوبهم، ثم يخرجون منها ويدخلون الجنة.

وعلى هذا فيكون معنى الحديث: **(كل أمتي)**: أمة الإجابة، **(يدخلون الجنة)**: دخولاً أولياً. **(إلا من أبى)**: فلا يدخلها دخولاً أولياً، وإنما يتأخر وإذا تأخر فإنه من أهل الوعيد، يعذب في النار بقدر مخالفته وعصيانه للرسول ﷺ. =

وفي الصحيح[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ.................

=ويقابل هذا في النصوص: التحريم:

ـ تحريم دخول الجنة، وذلك مثل قوله ﷺ: **(لا يدخل الجنة قاطع رحم)** [صحيح البخاري: ٥٦٣٨ ـ صحيح مسلم: ٢٥٥٦]، وقوله ﷺ: **(لا يدخل الجنة نمام)** [صحيح مسلم: ١٠٥]. ونحوها.

ـ أو تحريم دخول النار مثل قوله ﷺ: **(فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله)** [صحيح البخاري: ٤١٥]. ونحو ذلك.

فالتحريم في النصوص أيضاً قسمان:

أ) تحريم أبدي: يحرم عليه أن يخرج من النار أبداً، أو يحرم عليه دخول الجنة أبداً، وهذا في حق الكافر والمنافق نفاقاً أكبر.

ب) تحريم مؤقت: يحرم عليه الجنة إلى زمن، ثم يدخلها إذا كان من أهل المعاصي من الموحدين، ومنهم من تحرم عليه النار أبداً.

وبهذا تستقيم النصوص، ويتبين غلط الخوارج، وأهل البدع الذين فهموا من نفي الدخول مطلق الدخول، وفهموا من التحريم مطلق التحريم فكفروا المسلمين بالكبائر بسبب جهلهم، وعدم رد النصوص المتشابهة إلى النصوص المحكمة في القرآن والسنة.

---

(١) صحيح البخاري: ٦٨٨٢.

قال: (أبغض الناس إلى الله ثلاثة[١]، مُلحدٌ في الحرم[٢]، ....

---

(١) قوله: **(أبغض الناس إلى الله ثلاثة)**: فيه إثبات صفة البغض لله تعالى، وأنه من صفات الأفعال، فهو يبغض كما أنه يحب ﷻ، يبغض أهل الشر والكفر، ويحب أهل الخير والإيمان.

وقوله: **(ثلاثة)**: لا مفهوم للعدد، ولا يعني أن هؤلاء هم الأبغض فقط وإنما يعني أن هؤلاء أشد بغضاً.

وكون هؤلاء المذكورين في الحديث هم أشد الناس بغضاً عند الله، دليل على أن فعلهم الذي فعلوه من أكبر الكبائر.

(٢) قوله: **(ملحدٌ في الحرم)**: الحرم: المراد به الحرم المكي، وكذلك الحرم المدني، فمكة حرمها إبراهيم عليه السلام والمدينة حرَّمها الرسول ﷺ بقوله: **(المدينة حرمٌ ما بين عَيْرٍ إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)** [صحيح مسلم: ١٣٧٠].

والإلحاد: هو الميل عن طاعة الله إلى معصية الله.

وقد اختلف أهل العلم في المراد بالإلحاد:

- فمنهم من فسر الإلحاد بالشرك بالله ﷻ والكفر؛ لأن هذا أعظم الإلحاد وهو الميل عن الطريق الصواب.

- ومنهم من فسر الإلحاد بالقتل وسفك الدماء.

- ومنهم من فسر الإلحاد في الحرم بفعل الكبائر والمعاصي، وإحداث =

=المحدثات والبدع.

ـ كما فسر بأنه كل ما نهى الله جل وعلا عنه نهي تحريم، سواء كان شركاً أو ما دونه، فإنه إلحاد وميل عن الصراط المستقيم، وهذا التفسير الأخير هو الذي اختاره ابن جرير وغيره، وهو التفسير الصحيح؛ لأن التخصيص لا وجه له، وقد قال سبحانه: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الحج: ٢٥]. انظر: [تفسير الطبري ٩/١٣٢].

يقول الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ في معنى هذه الآية: (مجرد الإرادة، فلو أنه نوى بقلبه تنفيذ شيء في الحرم، فإن الله يذقه العذاب الأليم، حتى ولو لم ينفذ، فكيف إذا نفذ؟ الأمر أشد ـ والعياذ بالله ـ). اهـ. [من شريط (شرح فضل الإسلام)].

وهنا مسألة مهمة وهي: ما حدود الحرم المكي الذي فيه تضعيف الصلاة بمائة ألف صلاة، وتضعيف الحسنات، وشدة فعل السيئات؟

الجواب: أن حدود الحرم المكي ما كان داخل الأميال المحيطة بمكة من جميع الجوانب، فكل ما أدخلته الأميال المعروفة فهو حرم فيه فضل الصلاة، وفيه النهي عن الإلحاد والذنب..... الخ.

ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

وقد أسري به ﷺ من بيت أم هانئ، كما هو قول أكثر المفسرين، فهذا=

ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية(١) ومُطَّلبُ دم امرئ بغير حقٍ............

=دليل على أن المسجد الحرام ليس خاصاً بمسجد الكعبة المدار حول الكعبة، بل كل مكة حرم.

ومسألة أخرى: هل الحسنات تضاعف جميعاً أم الصلاة فقط؟ وهل السيئات تضاعف في الحرم أم لا؟

الجواب: أصح أقوال العلماء أن التضعيف بمائة ألف إنما هو خاص بالصلاة؛ لأنه هو الذي ورد فيه الدليل، وهو قوله ﷺ: **(صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام)** [صحيح الترغيب والترهيب: ١١٧٢]. وفي رواية أخرى: **(صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه)** [صحيح الترغيب والترهيب: ١١٧٣].

أما عموم الحسنات، فإن الطاعة فيه لشرف المكان أفضل من الطاعة في غيره، والسيئة ـ باتفاق أهل العلم ـ أشد من السيئة في غيره، لكن لا تضاعف السيئة في الكم، وإنما في الكيف؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿**مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦٠**﴾ [الأنعام: ١٦٠].

(١) قوله ﷺ: **(ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية)**: هذا هو الشاهد من هذا=

=الحديث للباب، وهو أن كل المحدثات التي أحدثت في الدين، وكل ما خالف به الناس منهج الرسول ﷺ وطريقة أصحابه رضي الله عنهم فإنما راموا طريقة من طرق أهل الجاهلية، مصداقاً لقوله ﷺ: **(لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه....)** [صحيح البخاري: ٣٢٦٩]. فيدخل في الجاهلية كل جاهلية قديمة أو حديثة سواءً من جاهلية العرب، أو جاهلية أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

وقوله: **(مبتغ)**: يعني مريدٌ عن قصد وطلب.

وقوله: **(في الإسلام)**: أي في زمن الإسلام من بعد بعثة الرسول ﷺ إلى قيام الساعة.

وقوله: **(سنة الجاهلية)**: معنى كلمة (سنة) لغة: الطريقة والعادة، فكل من اعتاد شيئاً وجعله طريقة له قيل: هذه سنة فلان.

ولكل أمة سُنَّة: عادة وطريقة كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [آل عمران: ١٣٧]. أي طرائق وعادات لكل أمة. وهذه السنة قد تكون في العقائد، أو المعاملات، أو العادات الاجتماعية....... الخ.

وأما في الإسلام، فلا تطلق السنة إلا على أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخَلقية والخُلقية، فنقول: سنة النبي ﷺ، وكذلك تطلق على من كان على سنته مثل: سنة الخلفاء الراشدين.

فإذاً قوله: **(ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية)**: يشمل إرادة هذا الإنسان=

=بعد ظهور الإسلام أي طريقة وهدي من هدي أهل الجاهلية الذي أبطله الإسلام، وجاء محله بسنة من السنن وهدي من الهدى.

وقوله: **(جاهلية)**: هو لفظ يعود إلى الجهل، وقد ذكر في القرآن الكريم في غير موضع. كقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝﴾ [المائدة: ٥٠]، فهذه الجاهلية مردها إلى الجهل وهو عدم العلم بالشرع، وعدم العلم بالكتاب المنزل، وعدم العلم بما يستحقه الله عز وجل.

وقد نقل إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀ كلاماً نفيساً لشيخ الإسلام ابن تيميه ﵀ يبين فيه المراد بقوله ﷺ: **(سنة جاهلية)**، وقد ذكر هذا الكلام في [اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم: ١/ ٢٢٧]. بنحوه، فقال: (قوله: **(سنة جاهلية)**: يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة - أي في شخص دون شخص - كتابية أو وثنية أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون).

وبيان كلام شيخ الإسلام: أن الجاهلية قد تكون:

أ) مُطْلَقة: لا تقيد بزمان أو مكان أو شخص، إنما هي جاهلية مطلقة، وهذه الجاهلية المطلقة لا يصح إطلاقها إلا فيما قبل بعثة النبي ﷺ، أما بعد البعثة فلا توجد جاهلية مطلقة؛ لأن الجهل رفع بإنزال القرآن الكريم، وعَلِم الناس، ولا يزال في هذه الأمة من هو قائم بأمر الله تعالى إلى قيام الساعة، كما قال ﷺ: **(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا=**

=**يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)** [صحيح مسلم: ١٩٢٠].

وإذا كان كذلك فإن الجاهلية المطلقة قد ارتفعت، فلا توجد جاهلية مطلقة حتى في قرن من القرون. ولذا أخطأ من وصف قرناً كاملاً بأنه في جاهلية كقول بعضهم (جاهلية العصر) أو (جاهلية القرن العشرين) ونحو ذلك؛ لأنه ليس موافق لما دلت عليه النصوص، وفسره أهل العلم.

ب) مقيدة: أي مقيدة بزمن أو مكان أو شخص.

- أما الجاهلية المقيدة بزمان: مثل الزمان الذي كان قبل بعثة النبي محمد ﷺ فإننا نستطيع أن نقول: إنهم كانوا في جاهلية باعتبار زمانهم.

- وأما الجاهلية المقيدة بمكان: يعني أن تكون الجاهلية في مكان دون مكان وهذا كثير بحسب ظهور السنة وخفائها وبحسب ظهور تلك الطائفة المنصورة في ذلك المكان بعينه وعدم ظهورها، فقد تكون في مكان دون آخر بحسب ما الناس فيه من الاهتمام بالقيام بأمر الله تعالى أو عدمه.

- وأما في الجاهلية المقيدة بشخص دون شخص: وهذا كثير، فقد يكون المسلم فيه بعض خصال الإيمان، وبعض خصال الجاهلية، أو يجتمع فيه إيمان وبدعة، ودليل ذلك: ما روي في [صحيح البخاري: ٣٠]، عن المعرور قال: (لقيت أبا ذرّ بالرَّبَذَة، وعليه حُلَّةٌ، وعلى غلامه حُلَّة، فسألته عن ذلك فقال: (إني ساببت رجلاً فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: **(يا أبا ذر أعيرته بأمّه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت**=

=أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم).

وعلى هذا فقد يجتمع في المسلم إسلام ومعصية، وإيمان وبدعة ـ ما لم يبلغ حد الكفر ـ فتكون هذه المعصية والبدعة من خصال الجاهلية وسنة الجاهلية.

ومن خصال الجاهلية، وسنن الجاهلية: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والتعصب للقبيلة وللجنس، والنخوة بغير حق، والتقليد المذموم.... وغيره كثير مما فشا بين المسلمين، والله المستعان.

وإذا نظرنا إلى هذه الأمة وجدنا أنها ما أصيبت إلا لأنها فتحت أبواب سنة الجاهلية على الناس، فعبادة الأوثان، وعبادة القبور وتعظيمها، وتعظيم الأموات، ودعاؤهم من دون الله، كل هذا ما جاء إلا عن طريق ابتغاء سنة الجاهلية.

فإذاً المنهج الذي تميز به المتبعون للسلف الصالح، أنهم لم يكونوا يبتغون في الإسلام سنة جاهلية، بل يخالفونها ويستمسكون بما أمرهم به رسول الله ﷺ.

ثم قال شيخ الإسلام ـ ابن تيمية ـ: **(كتابية أو وثنية، أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون)**: يقصد أن سنة الجاهلية ليست خاصة بجاهلية العرب، بل كل مخالفة لما جاء به المرسلون، سواء كانت موروثة من النصارى، أو اليهود، أو عُبَّاد الأوثان، فإنها من سنن الجاهلية.

وهذه الجملة مهمة في الحديث، وهي المقصد المهم في أنه يجب على كل=

ليُهريق دمه(١)) رواه البخاري..

=مسلم أن يبتعد كل البعد عن كل سنن الجاهلية، وأن يكون متبعاً لسنة النبي ﷺ، والاطلاع على كتاب (مسائل الجاهلية) للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله حيث ذكر فيه (١٢٨) مسألة من مسائل الجاهلية مما خالفهم فيها رسول الله ﷺ، ولو جمعت المسائل التي أخذها أهل الإسلام المعاصرون من الجاهليات المختلفة لبلغت أكثر مما ذكره إمام الدعوة رحمه الله في هذا المصنَّف، فدخل ذلك في مسائل العقائد والمعاملات، والعبادات، والسلوك حتى في أصغر المسائل ابتغيت سنة الجاهلية حتى في الأكل والشرب، وفي طريقة اللباس، مما قد لا يهتم به المرء، لكن ابتغوا في الإسلام سنة الجاهلية، وهذا من أعظم المصائب التي تبدل حب المؤمن لدينه ورسوله ﷺ شيئاً فشيئاً والله المستعان.

(١) قوله ﷺ: **(ومطَّلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه)**.

قوله: **(ومطَّلب)** بالتشديد، والمراد من يبالغ في الطلب.

وقوله: **(بغير حق)** احتراز عمن يقع له مثل ذلك، لكن بحق كطلب القصاص مثلاً.

وقوله: **(ليهريق دمه)** بمعنى: ليقتله.

وقد تمسك بهذا الحديث من قال: إن العزم المصمم يؤاخذ به. [فتح الباري: ١٢/٢٦٢]. =

قال ابن تيميه: قوله (سنة الجاهلية): (يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، أي: في شخص دون شخص كتابية، أو وثنية، أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون).

وفي الصحيح⁽¹⁾ عن حذيفة رضي الله عنه قال: (يا معشر القراء..............

=ويراد بهذا الجزء من الحديث أن من أشد الناس بغضاً إلى الله عز وجل من يستحل الدماء المعصومة، فقد نهى الله عز وجل عن ذلك بقوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء: ٣٣].

ويدخل في ذلك دماء المسلمين، والمعاهدين من الكفار، والمستأمنين والذميين، فلا يجوز استحلال دمائهم ولا يُقال: كافر حلال الدم، لأنه عصم بالعهد والميثاق، وقد قال ﷺ: **(من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً)** [صحيح البخاري: ٢٩٩٥].

فالدم المعصوم لا يجوز الاعتداء عليه، وهو من أكبر الجرائم. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٨ـ ٦٩].

(١) أي في صحيح البخاري: ٦٨٥٣.

استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً[١] ، ....

---

(١) قوله **(يا معشر القرَّاء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً)** : هذا الأثر مرويٌّ عن حذيفة بن اليمان ﷺ أنه كان يدخل المسجد، ويقف على حِلَق التدريس الذين كانوا يتعلمون القرآن، فيقول لهم: **(إن استقمتم فقد سبقتم سبقاً بعيداً)** : أي إن استقمتم على القرآن والعمل به، إذ ليس المقصود من قراءته أن يحفظه ويجوده ليقال: مقرىء.

وإنما المقصود: التمسك بالقرآن والعمل به؛ فالذي يقرأ القرآن ولا يتخلق به فهذا قد انحرف عنه؛ لأن القرآن هو الصراط المستقيم الذي من تمسك به نجا، ومن حاد عنه هلك وضل.

و**(القراء)** : هم الصفوة، وقد كان يُطلق اسم القراء على حفظة القرآن وعلى طلبة العلم، كما قال ﷺ : **(يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله)** [صحيح سنن أبي داود: ٥٤٢]. فالأقرأ هو الأعلم بكتاب الله تعالى. وعلى هذا يكون القراء في كل زمان هم الأفقه، وليسوا الأكثر قراءة.

و**(الاستقامة)** : هي سلوك الطريق المستقيم، وهو طريق واحد لا يتعدد والقراء هم القدوة، فإذا أخذوا يميناً وشمالاً من الأهواء والبدع والآراء المختلفة فإنه لا شك يفسد الناس؛ لأن الناس إنما يكونوا صالحين بعلمائهم وطلبة العلم عندهم، وقرائهم، ولهذا كان من الكلام الحسن للحسن البصري ﷺ أنه خاطب القراء في الكوفة فقال لهم: (يا مِلح الأرض لا=

فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً).

وعن محمد بن وضاح[1] أنه كان يدخل المسجد..........................

=تَفْسُدوا ؛ لأنه إن فسد الملح لم يؤكل الطعام).

وهذا صحيح، وهو من بالغ فقهه وعنايته، فإن فساد القراء وطلبة العلم يترتب عليه فساد الجماعة، وذلك أن عامة الناس لا يُلزمهم بالاستقامة إلا شيئان:

الأول: قوة السلطان.

والثاني: قوة أهل العلم واجتماعهم.

فإذا كان القراء تفرقوا واجتهدوا إلى أقوال كثيرة، فإن أثر ذلك على الناس، وعلى الدين، وعلى الاستقامة سيكون أبشع الأثر.

لذا ينبغي في الحقيقة على كل من طلب العلم أن يحرص على الاستقامة بمعناها الواسع: الاستقامة في سلوك منهج السلف الصالح.

الاستقامة في العمل.

الاستقامة في حفظ اللسان والجوارح.

الاستقامة في أمور العلم والعمل، وتجنب الهوى. يكن الأمر في المستقبل إلى خير.

---

(١) محمد بن وضاح القرطبي، محدِّث الأندلس، كان عالماً زاهداً ورعاً، له كتاب [البدع والنهي عنها] توفي سنة ٢٨٧هـ. [انظر ترجمته في كتاب سير أعلام النبلاء ١٣ / ٤٤٥].

فيقف على الحلق فيقول: فذكر(١) وقال(٢): أنبأنا ابن عيينة، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق قال: قال عبد الله - يعني ابن مسعود -: (ليس عام إلا والذي بعده شر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، ولكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويُثلَم)(٣).

---

(١) هذا الكلام متعلق بالأثر السابق وهو كلام حذيفة ﵁، فيشير الإمام محمد بن عبد الوهاب هنا إلى أن أثر حذيفة ﵁ عنه موجود في كتاب «البدع والنهي عنها لابن وضاح برقم ١٧»، وأنه ذكر في أول الرواية أن حذيفة ﵁ كان يدخل المسجد ويقف على الحلق - أي حلق القراء أو حلق طلبة العلم - فيقول: (يا معشر القراء ....) الخ.

(٢) **(وقال)**: أي محمد بن وضاح في كتابه «البدع والنهي عنها برقم ٨١» وإسناده ضعيف، لضعف مجالد.

(٣) هذا الأثر من ابن مسعود ﵁ فيه فقه عظيم، بيَّن فيه أن كل عام يكون ما بعده شر منه، وهذا كما جاء في حديث أنس لما جاءوا يشكون إليه الحجاج، وما يلقون من الظلم قال: **(اصبروا فإنه لا يأتي عليكم عام أو يوم إلا الذي بعده شرٌ منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم ﷺ)=**

=[إسناده صحيح. (المسند: ١٢٣٤٧)]. فالشر يزيد كلما تأخر الوقت.

ثم بَيَّن سبب زيادة الشر، فقدم لذلك بأسلوب فيه تشويق فقال: **(لا أقول عام أمطر من عام)**: يعني أن المطر سيقل **(ولا عام أخصب من عام)**: بمعنى أن المراعي ستقل، **(ولا أمير خير من أمير)**: يعني أمير هذه السَنة يكون خيراً من أمير السَنة المقبلة، وهكذا، لم يذهب إلى هذا، لأن هذه مسائل يداولها الله ﷻ، وبيده تصريف الأمور سبحانه، ثم فسر ابن مسعود رضي الله عنه سبب زيادة الشر فقال: **(ولكن ذهاب علمائكم وخياركم)**: وهذا من عظيم فقهه وعلمه، إذ علم أن حقيقة الشر إنما تكون في ذهاب الدين بذهاب العلماء.

وذهاب العلماء إما:

- بموتهم، وقد أخبر النبي ﷺ عن فقد العلم بموت العلماء فقال: **(إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جُهَّالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضَلُّوا وأضَلُّوا)** [متفق عليه. صحيح البخاري: ١٠٠ - صحيح مسلم: ٢٦٧٣].

- أو بقلتهم ومزاحمتهم بأقوام يقيسون الأمور بآرائهم.

وهذا هو معنى قول ابن مسعود: (ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويُثلم).

وقد حدث هذا أول ما حدث في زمن الصحابة رضي الله عنهم، لما حدثت بدعة=

=الخوارج قاسوا الأمور بعقولهم وقدموها على ما دلَّ عليه الدليل، وهكذا فعلت المرجئة والقدرية، ففتح باب شر على الأمة الإسلامية، وهدم الإسلام في أزمنة كثيرة وثُلم، وما دخل على المسلمين من شر بمقتل عثمان بن عفان ﵁، ثم قتل علي ﵁ إلا بسبب الأقيسة الفاسدة وتقديم الرأي على الشرع، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وليس المقصود بـ (هدم الإسلام): القضاء عليه، وانقراضه فإن الإسلام باق بحفظ الله له لكن هُدِم الإسلام في نفوس كثير من المسلمين بسبب هذه المناهج القياسية التي تقيس بالآراء والعقول.

ومن الأمثلة على ذلك في وقتنا المعاصر: إنكار الدكتور حسن الترابي ـ أستاذ الحقوق الدستورية في الجامعة السودانية ـ نزول المسيح عيسى بن مريم ﵇ في آخر الزمان، وعندما قيل له: كيف تنكر حديثاً متواتراً؟ قال: أنا لا أناقش الحديث من حيث سنده، وإنما أراه يتعارض مع العقل ويُقدم العقل على النقل عند التعارض. «العقلانيون أفراخ المعتزلة/ علي بن حسن الحلبي ص ٧١».

ومن الأمثلة أيضاً ما نقله محمد بن حامد الناصر في كتابه: «العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٠٤، ٢٠٥» عن الدكتور محمد عمارة، حيث نقل عنه قوله في كتابه: «الإسلام وقضايا العصر»: (إن كون الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشرائع السماوية للبشر، إنما يعني بلوغ البشرية سن=

=الرشد، بما يعينه الرشد من رفع وصاية السماء عن البشر). اهـ.

وغير ذلك كثير مما ابتليت به الأمة في هذا العصر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومعنى الثلم في الإسلام: هو خروج أناس إلى البدع والأهواء، فتنثلم السُنة في نفوس المسلمين، فيقل العمل بها في واقع المسلمين.

يقول د. ناصر العقل: (ويدخل في معنى قول ابن مسعود ﷺ: **(ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم)**: الذين أخذوا العلم الشرعي من أهل زماننا، ولكن أخذوه على غير أصول صحيحة، وعلى غير مناهج سليمة فصاروا إن أفتوا أفتوا بغير علم، وصاروا لا ينفعون أنفسهم بعلمهم ولا ينفعون غيرهم). اهـ.

وفي ضمن هذا تنبيه إلى وجوب التزام منهج أهل السُنة والجماعة، وأن من أسباب خروج كثير من المسلمين عن السُنة، ومقتضى الإسلام: إحداث مناهج في الدين منبعها الرأي، مما كان ذلك سبباً في هدم الإسلام وثلمه.

* * *

باب تفسير الإسلام(١)

وقول الله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾(٢) [آل عمران: ٢٠]..

---

(١) بعد أن بيَّن الشيخ المجدد رحمه الله فضل الإسلام، وبيَّن وجوب الدخول في الإسلام، والأصول العامة لالتزام الإسلام، وما يجب الدخول فيه من حيث القواعد الكلية التي تشمل الاتباع والتلقي، ومفارقة أهل الجاهلية، والاستقامة، أراد هنا أن يفسر ويبين ما هو الإسلام الذي له هذا الفضل والذي يجب الدخول فيه، حتى لا يدعي مدعٍ أنه مسلم وهو في الحقيقة ليس بمسلم، أو يكون مسلماً ولكن ناقص الإسلام فليس الإسلام بالدعوى والانتماء، ولكن الإسلام بالتمسك بالإسلام الحقيقي، فلا بد أن نعرف ما هو الإسلام من كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ.

(٢) هذا فيه بيان الإسلام أنه إسلام الوجه لله، وإخلاص النية، والبراءة من الشرك. وعبَّر بالوجه لفائدة عظيمة وهي: أن من أسلم الوجه فإنه لا يلتفت عمن توجه إليه أي التفات؛ لأن الوجه هو محل التركيز، ومحل الآلات ومحل الحواس، فإذا أسلم الوجه وتوجَّه به فإنه لا يلتفت ببدنه ولا بقلبه ولا بإرادته وقصده عن الله عز وجل. =

=وهذه الآية نزلت في محاجة النصارى ـ وفد نجران ـ الذين قدموا على رسول الله ﷺ ليحاجوه في مسائل، فلما حاجوه بيّن الله تعالى أن الدين عنده هو الإسلام، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

ثم قال بعدها: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ ﴾ يعني إن حاجوك في هذا الدين الذي هو الإسلام الذي لا يرضى الله تعالى إلا إياه وحاجوك في قبول ما عندهم من الدين المحرف فقل معلناً لهم: ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ ﴾: فيه أعظم الاستسلام لله جل وعلا، استسلام الوجه توجهاً وانقياداً وطاعة، واستسلام الجوارح في استعمالها فيما أمر الله جل وعلا به، واستسلام القلب في القصد والإرادة لا يلتفت عن الإخلاص، وعن طلب الله ﷻ أي التفات.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ ﴾: يشمل كل من اتبع الرسول ﷺ من عهد الصحابة ﷺ إلى قيام الساعة.

إذ لا يكون المرء مسلماً حتى يسلم وجهه لله تعالى، وذلك بالتوحيد ومتابعة الرسول ﷺ.

وفي الصحيح(١) عن عمر بن الخطاب ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)(٢) ....

---

(١) أي في صحيح مسلم: ٨، وهو قطعة من حديث جبريل ﷺ، وهو في الصحيحين من حديث ابن عمر ﷺ بلفظٍ آخر وهو: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)** [صحيح البخاري: ٨ ـ صحيح مسلم: ١٦ واللفظ لمسلم].

(٢) هذا الحديث دلَّ على تفسير الإسلام بالعقيدة، وبأركان الإسلام الأربعة فالإسلام والإيمان واحد؛ لأن كلاً منهما يحتاج إلى اعتقاد باطن وإلى عمل ظاهر، فلا يصح إسلام أحد إلا بإيمان، كما أنه لا يصح إيمان أحد إلا بإسلام.

ـ قوله: **(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله)**: شهادة أن لا إله إلا الله معناها: لا معبود بحق إلا الله ﷻ.

وهذه الشهادة تتضمن: الاعتقاد أولاً، والنطق ثانياً، وأن يُعلم غيره ـ ثالثاً ـ بما دلت عليه هذه الشهادة، وأنه يعتقد ذلك، فلا يعذر أحدٌ في الجمع بين=

=هذه الثلاث إلا المكره والمستخفي بدينه.

وعلى هذا دارت تفاسير السلف في الجمع بين هذه المعاني الثلاث، كما في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله سبحانه: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦].

وقد أخطأ طائفة من الناس يفسرون الألوهية بالربوبية فيقولون: لا إله إلا الله: معناها لا خالق إلا الله، أو لا حاكم إلا الله. أو يقولون: إن الإله هو القادر على الاختراع، وغير ذلك، وهذا كله باطل، وهذا من أقوال المعتزلة، والأشاعرة والمتكلمين، فينبغي التنبه لهذا.

وقوله ﷺ: **(وأن تشهد أن محمداً رسول الله)**: معنى شهادة أن محمداً رسول الله هو طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

فالشهادتان هما رأس الإسلام، وهما الركن الذي يفرق به بين المسلم والكافر، فتحقيق الإسلام متوقف على الإتيان بالشهادتين وتحقيقهما.

وقوله ﷺ: **(وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)**: هذه هي الأركان الأربعة العملية الظاهرة التي أجمع جمهور العلماء على أن من ترك هذه الأركان جميعاً فإنه ليس بمسلم.

وقد نقل الحافظ ابن رجب في كتابه [جامع العلوم والحكم ص ١٤٧] عن=

وفيه[1] عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[2]..

=عبدالله بن شقيق أنه قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون من الأعمال شيئاً تركه كفر غير الصلاة) وبيَّن بعد ذلك أن هذا هو الذي عليه جمهور أهل الحديث، وأنه قد ذهب طائفة منهم إلى أن من ترك شيئاً من أركان الإسلام الخمسة عمداً أنه كافر بذلك. اهـ.

وخلاصة القول: أن حديث عمر بن الخطاب ﷺ بيَّن أن القيام بفرائض الدين هو الإسلام بمعناه الظاهر - أي فيما يظهر للناس - لأن إذعان القلب شرط لصحة الإسلام، لكنه يخفى على الناس فيبقى المعنى الآخر لتفسير الإسلام وهو تفسيره بالأعمال الظاهرة، وهذا هو الجانب العملي للإسلام.

(١) أي في صحيح مسلم: ٤١ من رواية جابر بن عبد الله ﷺ بهذا اللفظ.

(٢) هذا الحديث فيه بيان أن الإسلام ليس مقصوراً في الأركان الخمسة، بل هذه بمثابة الأساس الذي يقوم عليه الإسلام، ثم يدخل في الإسلام كل الطاعات التي أمر الله بها وأمر بها رسوله ﷺ، ومن هذه الطاعات ما هو واجب فتكمل الإسلام الكمال الواجب، ومنها ما هو مستحب فتكمل الإسلام الكمال المستحب.

ولهذا قال هنا: **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)**، فالذي يكف=

=أذاه عن الناس فهذا مسلم كامل الإسلام، والذي يؤذي الناس بلسانه أو بيده هذا ناقص الإسلام.

وهنا ترد مسألة مهمة: هل الإسلام يزيد وينقص مثل الإيمان؟

والجواب: كما ذكر الشيخ صالح آل الشيخ ـ حفظه الله ـ: أن أكثر أهل السنة والجماعة على أن الإسلام مثل الإيمان يوصف بالزيادة والنقصان وذلك لأمور:

الأول: أن حقيقة الاستسلام يتفاوت الناس فيها:

أ) فهناك استسلام واجب لله تعالى بالتوحيد، وهذا الواجب من تركه يكفر، فلا يدخل في الدين أصلاً، أو يخرج من الدين.

ب) وهناك استسلام من تركه فقد قصَّر وأذنب، وهذا يتفاوت الناس فيه وهو استسلام من حيث الانقياد لله تعالى بالطاعة.

الثاني: أن شهادة أن محمداً رسول الله تقتضي طاعة أمره، واجتناب نهيه وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، وهذه الثلاث يتفاوت الناس فيها. بل حتى نفس التصديق للنبي ﷺ يتفاوت الناس فيه، مما يدل على أن الإسلام منه ما هو كامل، ومنه ما هو أدنى من ذلك.

الثالث: أن الإسلام فُسِّر بالأركان الخمسة جميعاً التي فيها أركان عملية كالصلاة والزكاة والصيام والحج، وجاءت أشياء أخرى في أحاديث أخرى كسلامة المسلم من اللسان واليد وغير ذلك، والناس يتفاوتون في ذلك. =

=وقد نقل الإمام الآجري كلام حسن لمحمد بن علي ﷺ وهو: أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، والإسلام لا يجوز أن يقال: يزيد وينقص. فقال المحقق في تفصيل ذلك ـ نقلاً عن ابن تيمية ـ: هذا على اعتبار أن الإسلام الكلمة كما صحَّ عن الزهري قوله: الإسلام الكلمة والإيمان العمل، بمعنى أنه بمجرد تلفظه بالشهادتين يأخذ حكم المسلم، فهذا لا يتصور فيه الزيادة والنقصان، وإن أريد بالإسلام فعل الواجبات الظاهرة كلها، فهذا يكون قابلاً للزيادة والنقصان كالإيمان [الشريعة ٢/ ٥٩٣].

وهنا مسألة أخرى:

أن المسلم له صفات كثيرة جاءت بها الآيات والأحاديث، فلماذا حصر في هذا الحديث وصف المسلم بأنه من سلم المسلمون من لسانه ويده؟

الجواب من وجهين:

الوجه الأول: أنه ﷺ وصف المسلم بهذا الوصف، لأجل قلة من يسلم المسلمون من ألسنتهم ـ بالغيبة والنميمة والقذف ونحو ذلك ـ وأيديهم ـ بالاعتداء على الأموال والأنفس ونحو ذلك ـ فهو نبَّه بهذه الخصلة على أن من أتى بها ـ وهم قلة ـ فهم أحرى بأن يأتوا بالخصال الأخرى من خصال الإسلام.

الوجه الثاني: أنه ﷺ وصف المسلم بهذا الوصف لشدة الحاجة إليه=

وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال: (أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة) رواه أحمد(١) ....

=وللتنبيه على أن هذا الوصف واجب من واجبات الإسلام يجب تعاهده وقد جاءت الآيات في الحض على أن المسلم يجب أن يسلم المسلمون من لسانه، كقوله ﷻ: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [الحجرات: ١٢]. وقوله ﷻ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ [الإسراء: ٥٣] ونحو ذلك.

وكذلك يسلمون من يده، كما جاء في حديث حجة الوداع: **(فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا)** [متفق عليه. صحيح البخاري: ٦٧ ـ صحيح مسلم: ٤٣٦٠].

فهذا الحديث جاء في بيان حقوق المسلمين، وما سبق في بيان حق الله وحق الرسول ﷺ. فكأن المصنف رحمه الله أراد أن ينبه على أن تحقيق الإسلام باجتماع أداء حق الله تعالى، وحق رسوله ﷺ، وحقوق العباد ـ حقوق المسلمين ـ أنه هو التفسير الكامل للإسلام.

(١) إسناده حسن، أخرجه الإمام أحمد في [المسند برقم ٢٠٠٢٢]، من رواية=

=أبي قزعة الباهلي، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه. وهذا الحديث فيه سؤال عن الإسلام بقوله: **(ما الإسلام)**، وإذا كان السؤال عن الماهية يكون جوابه ركن فيما وقع السؤال عنه، فدل ذلك على أن تفسير الإسلام المذكور في الحديث هو من أركان الإسلام، وأنه من لم يحققها فليس بمسلم.

وقوله ﷺ: **(أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك لله)**: هاتان الكلمتان هي معنى شهادة أن لا إله إلا الله، ولكنها بعبارة أخرى تبين حقيقة هذه الشهادة فيما دلت عليه ظاهراً وباطناً.

- فأما ما دلت عليه حقيقة الشهادة باطناً فهو إسلام القلب لله تعالى، كما قال ﷺ: **(أن تسلم قلبك لله)** فلا يكون القلب معظماً لأحد سوى الله وأن يستسلم القلب لله تعالى بالطاعة والانقياد، وهذا من أركان الإسلام.

- وأما ما دلت عليه حقيقة الشهادة ظاهراً فهو أن لا يعبد إلا الله وحده وأن عبادة غيره باطل، وهذا هو معنى قوله: **(وأن تولي وجهك لله)** يعني في أي عبادة، وفي أي أمر يكون الرغب و الرهب، والملتجأ والاستغاثة بالله ﷻ ويجب الانقياد لله تعالى ظاهراً وباطناً في التوحيد وما يتعلق بنبذ الشرك، فمن لم ينقد ظاهراً فهو مشرك، وأما سائر الأحكام العملية كالصلاة والزكاة ونحوهما فهي من الطاعات التي إن خالف فيها ظاهراً مع انقياد القلب فإنه لا تكون مخالفته قادحةً في أصل الإسلام، ولكن ينقص من إسلامه بقدر مخالفته. =

وعن أبي قلابة، عن رجل من أهل الشام، عن أبيه، أنه سأل رسول الله ﷺ: (ما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك[1] ....

=إذا تبين هذا، فمن أعظم ما يحققه الإسلام، إسلام القلب لله جل وعلا وإذا كان القلب مستسلماً لله ﷻ فإنه ينشأ عن ذلك أنواع كثيرة من العبادات القلبية من الذل والخضوع والرغب والرهب، مما يجعل تحقيق الإسلام عند العبد أعظم وأجلّ، فيذعن العبد لجميع الأوامر، وينتهي عن جميع النواهي، وهذا كما قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ﴾ [النور: ٥١].

ـ وقوله ﷺ: **(وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة)**: هذا من تفسير الإسلام، فأراد الإمام رحمه الله أن يقرر في تفسير الإسلام أن الإسلام بمعناه الشامل هو تسليم القلب والجوارح، وما يستتبع ذلك من ضرورة إقامة الفرائض من الصلاة والزكاة، وهذه الثلاثة من أهم أركان الإسلام.

[1] هذه الجملة مرت في الأحاديث السابقة، وهنا جمع ما بين حق الله تعالى وحق المؤمنين.

قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان. قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت(١)»(٢).

---

(١) هذا هو الجانب العلمي للإسلام وهو جانب الاعتقاد. وهو دليلٌ على أن الإسلام يشمل الدين كله، هذا إذا ذكر وحده، وإذا ذكر مع الإيمان فإنه يراد به الأعمال الظاهرة، وأفضل الإسلام هو الإيمان كما جاء في هذا الحديث.

ثم فسر الإيمان بأركان الإيمان الخمسة، ولم يذكر الركن السادس وهو الإيمان بالقدر خيره وشره، وذلك لأن القرآن الكريم ذكر هذه الأركان الخمسة دون القدر في آية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وذكر القدر منفصلاً في آية أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩] وجاء ذكر الأركان الستة معاً في حديث جبريل عليه السلام.

ومراد المصنف بذكر هذه الأحاديث والآثار تحت باب (تفسير الإسلام) ليبين أن الإسلام يُفسر بالإيمان، وهو أفضل الإسلام، ويفسر بالأركان الخمسة، وأداء حقوق الله عبادة وعقيدة، ويفسر بأداء حقوق العباد المؤمنين، ويُفسر بإسلام القلب لله انقياداً وطاعة، وهذه الأمور هي التي يدور عليها فلك الإسلام.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في [التمهيد ٩/٢٤٦]، وفيه راوٍ لم يُسَمَّ، ومعناه صحيح؛ حيث له شواهد في البخاري ومسلم وغيرهما.

باب قول الله تعالى:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(١)

---

(١) هذا الباب فيه أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يقبل الله من أحد سواه، وقد استدل المصنف ﷺ بهذه الآية في باب (وجوب الإسلام) على أن الدخول في الإسلام واجبٌ، وهنا أراد أن يقرر باباً مستقلاً يبين فيه أنه كما أن الدخول في الإسلام واجب، فكذلك الخروج من الإسلام ـ سواء بالردة أو بإحداث البدع ـ لا يقبل من صاحبه. وقد مر معنا أن هذه الآية تشمل فئتين من الناس:

الفئة الأولى:

فئة غير المسلمين من أتباع الملل المختلفة، أنه لا يقبل منهم بعد بعثة محمد ﷺ ديناً سوى الإسلام، حتى وإن كانوا على الدين الصحيح الذي جاء به أنبياؤهم.

الفئة الثانية:

فئة المسلمين من هذه الأمة، الذين لم يأخذوا الإسلام كما جاء في الكتاب والسنة، بل أحدثوا المحدثات وابتدعوا الضلالات، ويظنون أنهم على حق وعلى خير وصواب، فهؤلاء لا يقبل منهم ما جاءوا به؛ لأنه ليس على الإسلام الصحيح الذي أُمروا به.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (تجيء الأعمال يوم القيامة(١) فتجيء الصلاة فتقول: يا رب أنا الصلاة. فيقول: إنك على خير. [فتجيء] الصدقة فتقول: يارب أنا الصدقة. فيقول: إنك على خير. ثم يجيء الصيام فيقول: يارب أنا الصيام. فيقول: إنك على خير. ثم تجيء الأعمال على ذلك. فيقول الله ﷻ: إنك على خير(٢) ....

---

(١) قوله ﷺ: **(تجيء الأعمال يوم القيامة)**:

للعلماء فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بمجيء الأعمال: مجيء ثواب الأعمال يوم القيامة والأجر الذي وضعه الله ﷻ للأعمال.

القول الثاني: أن قوله ﷺ: **(تجيء الأعمال)** المراد به مجيئها حقيقة، فالله تعالى قادر على جعل الأعمال تجيء حقيقة، كما أنه يأتي القرآن يوم القيامة يُحاج عن أصحابه، وكما أن الأعمال توزن في الميزان حقيقة وهذا هو الذي عليه المحققون من أهل السنة والجماعة في أن الأصل في الأمور الغيبية أن تُقر على ظاهرها، وأن لا تؤول بتأويلات تصرفها عن ظاهرها.

(٢) قوله ﷺ: **(فتجيء الصلاة فتقول: يا رب أنا الصلاة.....)** الخ: أي أن=

=جميع هذه الأعمال المذكورة تجيء يوم القيامة، وكلٌّ يريد أن يكون الوزن به، وأن يكون هو المعيار الذي يوزن به أعمال العبد.

وهذا فيه تقرير لمسألة مهمة وهي: أن هذه الأعمال يكون بينها وبين أصحابها محبة ومودة وألفة، بحيث إن كل عمل صالح يريد لأصحابه الزلفى والنجاة.

وفي قوله تعالى لهذه العبادات: **(إنك على خير)**: فيه تنبيه إلى حسن الأدب مع من رام شيئاً ولم يستحقه، بأنه يثنى عليه ولا يهجَّن في قوله، ولا يعطى أكثر من منزلته.

قوله ﷺ: **(ثم يجيء الإسلام فيقول: يا رب أنت السلام، وأنا الإسلام...)** الخ الحديث.

(السلام): اسم من أسماء الله ﷻ، الذي من آثاره كل سلامة سلم بها العباد، وكل أنواع السلامة في دينهم ودنياهم فيما دق أو جلَّ من أمورهم إنما هي من آثار فيوضات الله ﷻ، الذي هو السلام ﷻ، وتقدست أسماؤه.

وبين اسم الله تعالى **(السلام)** واسم **(الإسلام)** مناسبة من جهة الاشتقاق لأن الإسلام فيمن أسلم يطلب السلامة، والسلام من أسماء الله فيه فيوضات السلامة من جميع النواحي والجهات.

وفي هذا الدعاء من الإسلام: **(اللهم أنت السلام وأنا الإسلام)**: فيه تنبيه=

=للعباد أن يكون دعاؤهم بالتوسل بأسماء الله تعالى المناسبة لمطالبهم ؛ لأن العبد إذا وفق إلى هذا لا يكاد دعاؤه يُصرف بل يجاب ، كما أخبر بذلك الله تعالى فقال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قوله : **(بك اليوم آخذ)**: من الأخذ وهو العقوبة والعذاب.

وقوله : **(وبك اليوم أعطي)**: أي أتكرم وأتفضل ، فدل ذلك على أن الله ﷻ جعل الإسلام هو الميزان الذي يعاقب بتركه ، ويكرم ويتفضل به. وإذا كان كذلك فإن تحقيق الإسلام هو أعظم أسباب النجاة ومن تخلف عن ذلك فهو مؤاخذ ، وسيُرد عليه ما تعبَّد به مما ليس من الإسلام.

إذا تبين هذا فإن هذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي تهز النفس والفؤاد والجوارح في لزوم الإسلام الصحيح وعدم مخالفته إلى غيره فالمسألة ليست مسألة عبادات من حيث هي فقط ، وإنما المسألة مسألة تحقيق الإسلام.

لهذا ينبغي على الدعاة وطلبة العلم ـ كمنهج ـ أن يأخذوا بالإسلام في شموله في الدعوة ، فلا يُقتصر على جانب دون جانب آخر.

فحقيقة الإسلام الذي يجب أن يتخذ منهاجاً للدعوة ، هو الإسلام الذي يشمل جميع ما أمر الله تعالى به ، وأمر به رسوله ﷺ أمر إيجاب ، وجميع ما نهى الله تعالى عنه ، ونهى عنه رسوله ﷺ نهي تحريم ، ثم يأتي بعد=

ثم يجيء الإسلام فيقول: يارب أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول الله ﷻ: إنك على خير، بك اليوم آخذ، وبك أعطي.

قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، رواه أحمد(١).

وفي الصحيح(٢) عن عائشة ﵂، أن رسول الله ﷺ قال: .....

=ذلك المستحبات وغيرها من باب التبع.

وهذا هو المنهج الذي اتخذه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀ في دعوته حيث أخذ بما في هذه النصوص بحذافيرها، ودعا إلى الإسلام كله: بأداء حقوق الله ﷻ، وحقوق العباد، والأمر بالفرائض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بالنصح للراعي والرعية، والقيام بالحقوق جميعاً.

وهذا هو حقيقة الإسلام التي وعد الله سبحانه من أخذ بها بالنصر والتأييد مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

(١) في المسند: [٨٧٤٢]، وقال المحققون: إسناده ضعيف.

(٢) صحيح مسلم: ١٧١٨.

(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)(١) رواه أحمد(٢).

---

(١) أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث هنا تحت باب قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ليبين أنه يدخل في هذه الآية من أحدث في هذا الدين ما ليس منه، سواء كان ذلك في العقائد أو في العبادات، فكل من تعبد الله بعمل لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة فإن عمله مردود بنص الآية والحديث، وصاحبها في الآخرة من الخاسرين.

ولابد من استحضار معانٍ مهمة في هذا الباب وهي:

١ ـ كمال الدين، وعلى هذا فلا يصح لأحد أن يدَّعي في يوم من الأيام أن الناس بحاجة إلى أمر يقررونه في العقيدة أو الأحكام دون مصادر الدين الحقيقية.

٢ ـ أن هذا الدين باق ظاهر إلى يوم القيامة، فلا يجوز لأحد أن يدَّعي في يوم من الأيام أن هناك من أمور الدين وأصوله ما اندثر، أو يحتاج إلى أن يبدل. نعم قد تخفى بعض السنن، لكن لا تخفى على عموم الأمة؛ لأنه لا تزال طائفة من الأمة على الحق جملة وتفصيلاً.

٣ ـ لا يسوغ لأحد أن يدعي أن الدين فقط هو نصوص الكتاب والسنة لأن النصوص لا تصح بدون تفسيرها، وتفسيرها هو عمل الرسول ﷺ وعمل الصحابة رضي الله عنهم، وعمل التابعين وأئمة الهدى، وذلك سبيل=

=المؤمنين الذي توعد الله تعالى من خالفهم بقوله: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥].

(٢) في المسند: ٢٥١٢٨.

* * *

باب وجوب الاستغناء بمتابعته ـ يعني القرآن ـ(١)

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾(٢) [النحل: ٨٩]....

---

(١) يشير الشيخ ﷺ بهذا الباب إلى أن من فضل الإسلام أنه كامل، وأنه يغني عن أي حاجة إلى أي مبدأ، أو مذهب، أو ما يتدين به الناس، وهذا التبويب فيه دليلٌ على وجوب الاكتفاء بالكتاب والسنة عن كل ما سواه مما يريد العبد أن يطلب به الهدى أو العلم النافع. وذكرنا هنا السنة لأنه جاء في بعض النسخ (وبمتابعته ﷺ)، ولأن متابعة النبي ﷺ تدخل في متابعة الكتاب.

ومن نظر في حال أهل الإسلام اليوم الذين فارقوا الجماعة، وأنشأوا الفرق، وتبعوا الضلالات، يتبين له أن سبب ذلك هو أنهم لم يستغنوا ولم يكتفوا بما جاء في الكتاب والسنة وفي هدي الصحابة عن الكتب المختلفة والآراء العقلية والأقيسة، بل زهدوا في ذلك كله، وأخذوا يتلقفون العلم من مصادر أخرى يظنون أن فيها الهداية.

(٢) يقول ابن مسعود ﷺ في تفسير هذه الآية: (قد بيَّن لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء. فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم) [المصباح المنير ٥٨٧]. =

= ـ وفي قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾: خطاب للرسول ﷺ. وهذا فيه أن القرآن منزل غير مخلوق ـ كما تقول الجهمية ـ.

ـ وقوله تعالى: ﴿ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾: لا يشمل ما لا ينفع الناس في دينهم لأن القرآن لم ينزل لأمور الناس في دنياهم وإنما نزل للهداية، لذا قال بعدها: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

فالله ﷻ جعل بحكمته الأشياء فيما حولنا على قسمين:

أ) أشياء يدخلها الهوى: وهو كل ما يتعلق بأمور الشبهات والشهوات.

ب) أشياء لا يدخلها الهوى: مثل أمور الحساب والهندسة ونحو ذلك من الأمور التي تسري فيها سنن الله جل وعلا.

فالله ﷻ جعل القرآن هادياً للناس إلى الصراط المستقيم، والطريق القويم الذي لا يلتبس فيما يدخله هوى الناس، وهو الأمور العلمية والعملية التي يحتاجونها، وأما الأمور التي لا يدخلها الهوى فالقرآن لم ينزل لأجل بيانها، ولهذا يخطئ من يجعل القرآن في العلوم كلها، كما زعمت طائفة أن القرآن كتاب في الطبيعة، وكتاب في الزراعة، وكتاب في الهندسة، وكتاب في الجبر، ونحو ذلك يظنون أن هذا فيه رفع لشأن القرآن، وليس كذلك بل فيه إنزال من شأن القرآن؛ لأن الله جل وعلا لم ينزل القرآن لذلك ولم يجعله كتاباً في الأمور الرياضية، أو الطبيعية، أو الهندسية، أو إلى=

=آخره، وإنما جعله كتاب هداية فيما تدخل فيه أهواء الناس بتحريف مراد الله جل وعلا فيه.

فالقرآن إذاً تبيان لكل شيء ينفع العباد، ويحتاجون إليه، فيما قد يحرفونه بأهوائهم، أو قد لا يدركون الحق فيه مما ينفعهم في آخرتهم، أبانه الله ﷻ بياناً شافياً، فكل ما يكون من قبيل الهداية في الدنيا والآخرة فهو في القرآن وأما العلوم الأخرى فإنها لا تدخل في عموم قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ لعدم اشتمالها على الهداية في الطريق الذي يلتبس على الناس.

وهنا قد ترد شبهة وهي:

هل يمكن الاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة وأقوال الصحابة بنص هذه الآية؟

الجواب: لا يمكن الاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة، ولا عن أقوال الصحابة، وذلك لأنه قد جاء الأمر في القرآن الكريم بوجوب طاعة الرسول ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعاً، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٥٤﴾ [النور: ٥٤].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **(لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله. فبلغ=**

=ذلك امرأة من بني أسد يُقال لها: أم يعقوب. فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله. فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين، فما وجدت فيه ما تقول؟ قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه. أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه) [صحيح البخاري: ٤٦٠٤ ـ صحيح مسلم: ٢١٢٥].

فاستدل ابن مسعود رضي الله عنه بما جاء في السُنة على أنه في القرآن، وهذا استدلال أصولي عميق، دلّ على أن الاستغناء بالقرآن يشتمل على الاستغناء بما دلَّ عليه القرآن من متابعة النبي ﷺ.

ـ وكذلك أقوال الصحابة رضي الله عنهم، فهي داخلة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

ـ وكذلك الذين اتبعوهم بإحسان جاء النص عليهم في القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وإذا كان الأمر كذلك فإن هذه الآية التي أوردها المصنف رحمه الله دالة على الاستغناء بمتابعة القرآن والسنة وهدي السلف الصالح عن كل ما سواها.

روى النسائي[١] وغيره[٢] عن النبي ﷺ أنه رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقة من التوراة فقال: (أمتهوكون يا ابن الخطاب، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حياً واتبعتموه وتركتموني ضللتم)[٣] ....

---

(١) لم أقف عليه في سنن النسائي الصغرى ولا الكبرى.

(٢) أخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند: ١٥١٥٦، وقال المحقق: إسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله [في إرواء الغليل: ١٥٨٩]، لكثرة الشواهد، وقد ذكر بعضها في [الإرواء].

(٣) قوله ﷺ: **(أمتهوكون يا ابن الخطاب)**: أي أمتحيرون، بمعنى: هل أنت في حيرة، أو شك، أو ريب مما جئتُ به؟

- **(لقد جئتكم بها بيضاء نقية)**: لقد جئتكم بالشريعة بيضاء نقية، لا يدخلها لَبس، ولا تحريف.

- **(لو كان موسى حياً واتبعتموه وتركتموني ضللتم)**: وذلك لأن فترة موسى عليه السلام قد انتهت، وشريعته نُسخت بشريعة محمد ﷺ، فلا يجوز العمل بها؛ لأن رسالة محمد ﷺ هي خاتمة الرسالات، ولأن نبوته هي خاتمة النبوات، وكتابه الذي هو القرآن هو خاتم الكتب، وهو المهيمن على كل كتاب. =

وفي رواية(١): (لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي)، فقال عمر: (رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً)(٢).

=قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

(١) هذه الرواية أخرجها ضياء الدين المقدسي في [الأحاديث المختارة: ١١٥] بنحوه.

(٢) قوله ﷺ: **(لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي)**: وذلك لأنه بعد بعثة محمد ﷺ وجب على الجميع أن يؤمنوا به، وكانت رسالة كل رسول خاصة، وكانت رسالة محمد ﷺ عامة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، بل تعم الثقلين الجن والإنس كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وهذا الحديث يدل على عدم جواز النظر في كتب الأنبياء السابقين، إما لأنها محرفة، أو لأنها منسوخة، أو للأمرين معاً. كما لا يجوز لأي أحد من الأنبياء ـ إن كان موجوداً بعد بعثة النبي ﷺ ـ أن يعمل بغير شريعة محمد ﷺ وقد أخذ الله ﷻ الميثاق على جميع الأنبياء بالإيمان بالنبي محمد=

= ﷺ، ومناصرته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

ولهذا عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بشريعة محمد ﷺ يحكم بالقرآن ويدع الإنجيل، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويأمر باتباع محمد ﷺ.

وهنا مسألة مهمة وهي:

هل النظر في التوراة محرمٌ على الإطلاق أم لا؟

الجواب على ذلك:

أن العلماء لهم قولان في النظر في التوراة:

القول الأول: أنه يحرم النظر في التوراة أو الإنجيل أو الزبور مطلقاً، سواء أكان الناظر فيها عالماً أم ليس بعالم، وهذا قول جمهرة كبيرة من أهل العلم.

القول الثاني: أنه محرم، ولكن ليس على إطلاقه، فيجوز لأهل العلم الموثوق بهم، والراسخين فيه أن ينظروا في التوراة لغرض إبطال دعوى اليهود أو النصارى، أو لنصرة الدين أو ما شابه ذلك في مسائل الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد العلمي.

وهذا القول الثاني هو الذي اعتمده كثير من أهل العلم، وألفوا كتباً كثيرة في بيان بعض التحريفات التي اشتمل عليها الإنجيل والتوراة، بل كَتب=

=شيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً سماه [الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح] فيه نقول كثيرة عن التوراة والإنجيل، وكَتب تلميذه ابن القيم كتاباً سماه [هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى] نقل فيه كثيراً عن تلك الكتب وكذلك القرطبي، وغيره من العلماء نظروا في ذلك لغرض نصرة الشريعة.

وخلاصة القول في هذه المسألة: أنه لا يجوز لأفراد الناس، وآحاد طلاب العلم أن ينظروا فيها، بل يحرم ويأثم من نظر فيها، ولكن إذا كان نظره نظر عالم راسخ في العلم لقصد الجهاد العلمي فإن هذا جائز.

وترد هنا مسألة أخرى مهمة أيضاً، وهي:

ما حكم الروايات الإسرائيلية الموجودة في بعض كتب التفسير لدينا مثل تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، والبغوي، وغيرهم؟

الجواب: ينقسم الأخذ بأقوال أهل الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن والسنة، فهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غنية عنه، ولكن يجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم.

مثال ذلك: ما ذكر في صاحب موسى ﷺ، وأنه الخضر، فقد ورد في الحديث الصحيح، وكذا ما يتعلق بالبشارة بالنبي ﷺ وبرسالته.

ودليل جواز روايته: ما ورد عن النبي ﷺ: **(بلغوا عني ولو آية** =

=وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) [صحيح البخاري: ٣٤٦١].

الثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه، فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترناً ببيان كذبه، وأنه مما حرفوه وبدلوه، كما أخبرنا الله تعالى عنهم بقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]. أي أنهم يجعلون للكلم الذي أراد الله تعالى معنى غير ما أراده الله ورسوله.

مثال ذلك: ما ذكروه في قصص الأنبياء من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذكر في توراتهم المحرفة من أن الذبيح إسحاق عليه السلام وليس إسماعيل عليه السلام.

ومن الأدلة على النهي عن روايته: قول ابن عباس رضي الله عنهما: (يا معشر المسلمين: كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث، تقرؤونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا هو من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل إليكم) [صحيح البخاري: ٦٩٢٩].

وقد قال الإمام مالك رحمه الله في حديث: **(حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)**: (المراد جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما عُلم كذبه فلا) [فتح الباري: ٦/٤٩٨]. =

= ـ وكذلك حديث الباب دليلٌ على النهي عن قراءة الكتب المتقدمة.

الثالث: ما هو المسكوت عنه، لا من هذا ولا من ذاك، فلا نؤمن به ولا نكذبه، لاحتمال أن يكون حقاً فنكذبه، أو باطلاً فنصدقه، ويجوز روايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم.

ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة ﵁ قال: (كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: **(لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: ءامنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إليكم)** [صحيح البخاري: ٦٩٢٨].

ومع هذا فالأولى عدم ذكره، وأن لا نضيع الوقت في الاشتغال به. [انظر هذا التقسيم في كتاب (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير) د. محمد بن محمد أبو شهبة ص ١٠٦، ١٠٧].

يقول الشيخ صالح آل الشيخ معلقاً على سبب إيراد المصنف ﵀ لحديث عمر ﵁ تحت هذا الباب: (ومراد إمام الدعوة ﵀ من استدلاله بحديث عمر ﵁ أن يبين أن هذه التوراة أصلها كلام الله ﷿، لكن لما وقع فيها التحريف والتبديل، وكنا مستغنين بالكتاب والسنة فإن النظر فيها محرم بالرغم من أن أصل التوراة من عند الله ﷿، فكيف إذاً الأمر بالنسبة إلى الكتب التي تنتجها عقول البشر مثل كتب الفلسفة، والتصوف، والزندقة والمنطق، وغيرها من كتب الأقوال المختلفة التي أضلَّت الأمة وفرقتها =

=وأثّرت في تفسير كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فانصرف الناس عن تفاسير السلف، وشروح السنن المعتمدة إلى نحو أقوال الفلاسفة وأهل المنطق وأهل البدع، مما جعل الكتب الموروثة في هذه الأمة مشتملة على حق وباطل، وقلَّ من يميز ذلك.

ولهذا كان من المنهج الذي ورثه أئمة الإسلام من السلف الصالح أن يستغنوا بالكتب النافعة عن الكتب التي اشتملت على حق وباطل، وهذا واضح في تحذير أئمة أهل السنة والجماعة من كتب أهل البدع، ومن النظر فيها، بل أمروا بإحراقها بلا ضمان).

فقد ذكر الذهبي في [ميزان الاعتدال ٢/١٦٥] في ترجمة الحارث بن أسد المحاسبي: (رواية الحافظ سعيد بن عمرو البردعي قال: شهدت أبا زرعة وقد سُئل عن الحارث المحاسبي وكتبه، فقال للسائل: إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك. قيل له: في هذه الكتب عبرة. فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة، فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن سفيان ومالكاً والأوزاعي صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس، ما أسرع الناس إلى البدع).

وذكر ابن القيم في كتابه [الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ٢٣٣]: (فصل: وكذلك لا ضمان في تحريق الكتب المضلة وإتلافها ونقل عن المروزي: قلت لأحمد: استعرت كتاباً فيه أشياء رديئة أترى أن أخرقه أو أحرقه؟=

=قال: نعم، وقد رأى النبي ﷺ بيد عمر ﷺ كتاباً اكتبه من التوراة وأعجبه موافقته للقرآن، فتمعر وجه النبي ﷺ حتى ذهب به عمر إلى التنور فألقاه فيه، فكيف لو رأى النبي ﷺ ما صنف بعده من الكتب التي يُعارض بعضها ما في القرآن والسنة).

فإذاً المنهج الصحيح أن يُربى الناس في الدعوة، وأن يرشدوا إلى ما ينفعهم من العلم الذي يقابلون به الله ﷻ في الآخرة.

والعلم النافع ثلاثة أقسام كلها في القرآن، كما وصفها ابن القيم ؒ بقوله:

والعلم أقسام ثلاثٌ ما لها ❖ من رابع والحق ذو تبيان
علمٌ بأوصاف الإله وفعله ❖ وكذلك الأسماء للديَّان
والأمر والنهي الذي هو دينه ❖ وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي ❖ جاءت عن المبعوث بالفرقان

* * *

باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام(١) ....

---

(١) أراد إمام الدعوة ﷺ في هذا الباب، أن يلفت النظر إلى أسباب حدوث الافتراق في هذه الأمة وعدم اجتماع الكلمة بين المسلمين، ألا وهي الأسماء والشعارات والألقاب، والتي قد تكون بالتعصب إلى بلد أو قبيلة، أو رجل، أو بالتعصب إلى فئة، أو حزب، أو جماعة، أو فرقة أو تكون بالتعصب إلى مذهب معين، فحدثت أسماء كثيرة في هذه الأمة مخالفة للأسماء الشرعية التي ذكرها الله ﷻ في كتابه، أو ذكرها رسوله ﷺ في سنته.

ومما لا شك فيه أن التفرق في هذه الأسماء يوجب الفرقة في الأبدان ويوجب الفرقة في الأقوال، مما يعني أنه يحدث افتراقاً في الدين، وافتراقاً في الجماعة، وهذا هو الذي ذمه الله تعالى، وحذر منه كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، أي لست منهم في أي خصلة؛ لأن أصل الدين هو الأمر بالاجتماع فيه، وعدم التفريق في المسائل العملية، هذا نتبع فيه الدليل وهذا لا نتبع، وكذا المسائل العلمية وهي مسائل العقيدة والتوحيد، فإذا حصل التفرق في الدين ترتب عليه الفرقة في الأبدان، ومن هنا نجد أن في نصوص الشريعة ثم تلازم بين لزوم السنة ولزوم الجماعة، فمن لزم السنة لزم الجماعة، كما أن من لوازم البدعة فرقة في الجماعة. =

وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا﴾[1] [الحج: ٧٨]...

=وكذلك حذر النبي ﷺ من الفرقة، والتعصب للأسماء المحدثة ـ كما سيأتي في هذا الباب ـ.

(١) وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا﴾.

على من يعود الضمير في قوله: ﴿هُوَ﴾؟

ـ ذهب جمهور أهل التفسير على أن الضمير يرجع إلى رب العالمين، ويدل على ذلك سياق الآية، فقد قال سبحانه في أولها: ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا﴾ [الحج: ٧٨]، فالله ﷻ هو الذي لم يجعل لنا في الدين من حرج، وهو الذي خفف عنا، وهذه هي ملة أبينا إبراهيم ﵇، فالله ﷻ سمانا المسلمين ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي في الكتب السابقة ﴿وَفِى هَـٰذَا﴾ أي في هذا القرآن الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ.

ـ وذهب قليلٌ من أهل العلم، منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيره إلى أن الضمير في قوله: ﴿هُوَ﴾ يرجع إلى إبراهيم ﵇، ولكن هذا ليس بجيد، بل هو أقرب إلى الغلط؛ لأن سياق الآية يدل على أن المراد بالضمير ﴿هُوَ﴾ الله ﷻ، وتقدست أسماؤه، وهذا ما رجحه الشيخ صالح آل الشيخ.=

عن الحارث الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال[1]: (آمركم بخمس الله أمرني بهن[2]: ....

=وقوله ﷻ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: هذا هو الشاهد من الاستدلال بالآية، وهو قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ والله ﷻ لم يسم أتباع الرسول محمد ﷺ باسم إلا باسم الإسلام. ولذلك كان اسم المسلمين يختص بهذه الأمة، وأما اسم المؤمنين فقد يشمل كل مؤمن، ولا يختص بهذه الأمة من حيث الإطلاق.

ولهذا ينبغي المحافظة على هذا الاسم في كل مكان، لأنه تسمية الله تعالى فيجب على العباد أن يرضوا بتسمية الله جل وعلا لهم، لأنها أكرم تسمية وأعظم تسمية، فالمسمي هو رب العالمين، فمن خرج عن تسمية رب العالمين لعباده فقد خرج عن ما رضيه الله جل وعلا لعباده المسلمين.

(١) هذا الحديث من الأحاديث العظيمة، وجوامع الكلم التي اشتملت على كل المطالب الدينية التي تنفع العباد في دينهم ودنياهم، وفيما يصلح شأنهم في اجتماعهم في الدين وفي أمور الدنيا.

(٢) قوله: **(آمركم بخمس الله أمرني بهن)**: يفيد وجوب هذه المطالب وتخصيصها يدل على أنها من مطالب الإسلام العظام، ومن خصاله الجليلة التي فاقت غيرها من الأوامر. =

=وقوله: **(بخمس)**: يدل على أنها مختارة، وأن هذه الخمس أهم من غيرها مما يدخل في معناها.

وقوله: **(الله أمرني بهن)**: هذا يدل على أن النبي ﷺ إذا أمر بأمر فإنما يبلغ رسالة الله جل وعلا، فيأمر بما أمر الله ﷻ، وينهى عما نهى الله ﷻ والسنة أخت القرآن في أنها وحيٌ من عند الله تعالى، وهي بيان للقرآن وتفصيل لأحكامه.

وقد كان حسان بن عطية رحمه الله يقول: (كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما يُنْزِلُ القرآن عليه، يعلمه إياها كما يعلمه القرآن) [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ٨٤].

وقد قال الله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣]، والحكمة هي السنة كما جاء تفسيرها عن الحسن في قوله: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة: ١٢٩]، قال: ﴿ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾: القرآن و﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾: السنة [المصباح المنير ص ٨٥] وصح عن النبي ﷺ أنه قال: **(ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه)**. [المسند: ١٧١٧٤] وإسناده صحيح.

فقوله ﷺ: **(الله أمرني بهن)**: فيه بيان أن أمر النبي ﷺ هو أمر من الله ﷻ، كما أن فيه تأكيداً منه ﷺ بقوله: **(الله أمرني بهن)** ليلفت النظر إلى عظم هذه الأوامر وجلالتها، كما أن فيه أيضاً تشويقاً لسماعها وبيان ما فيها.

السمع والطاعة[1]، ....

---

[1] قوله: **(السمع والطاعة)**: هذا هو الأمر الأول والثاني، فجعل السمع واحداً، والطاعة واحدة مع أنهما مقترنان من حيث الوجود ـ فمن سمع فقد أطاع، ومن أطاع فقد سمع ـ وذلك لأن الحاجة إليهما معاً في الأمر متعينة وعظيمة.

فالسمع والطاعة واجبان، ويجتمع فيهما ثلاثة حقوق:

١ ـ حق الله ﷻ، لأنه هو الذي أمر بذلك.

٢ ـ حق ولي الأمر والنصح له؛ لأن هذا حق أحقه الله تعالى له، وقد أمر سبحانه بأداء الحقوق إلى أهلها.

٣ ـ حق المسلمين جميعاً؛ لأنه من خرج عن السمع والطاعة، فإنه لا يؤذي ولي الأمر فقط، وإنما يؤذي المسلمين جميعاً؛ لما يترتب على عدم سمعه وطاعته من المفاسد.

إذا تبين هذا، فإن السمع والطاعة لولي الأمر مشروطة في النصوص بأنها سمع وطاعة في غير معصية، وأما إذا أُمر العبد بمعصية فإنه لا سمع ولا طاعة؛ لأنه حينئذ يكون ما أُمر به مخالفاً لما أمر به الله ﷻ ورسوله ﷺ وأمر الله تعالى هو المقدم، وطاعة ولاة الأمر إنما تجب تبعاً لطاعة الله ولطاعة رسوله ﷺ، ولا تجب استقلالاً، ولهذا قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]. =

والجهاد(١)، ....

=قال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وآخرون: كرر الفعل أطيعوا في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ لأن الله ﷻ يُطاع استقلالاً لحقه، والرسول ﷺ أيضاً يُطاع استقلالاً لحقه ـ يعني لا يُعرض كلامه عليه الصلاة والسلام على القرآن ـ وأما ولي الأمر فلم يكرر له الفعل (أطيعوا) قال: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ لأن طاعته تجب تبعاً لطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ولا تجب استقلالاً.

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر، من ذلك:

ـ عن أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **(اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)** [صحيح البخاري: ٧١٤٢].

ـ وعن وائل بن حُجر ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ ورجل سأله فقال: أرأيت إن كان علينا أمراء يمنعونا حقنا ويسألونا حقهم؟ فقال رسول الله ﷺ: **(اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُملوا وعليكم ما حملتم)** [رواه مسلم: ١٨٤٦. والترمذي: ٢١٩٩ واللفظ له].

(١) قوله: **(والجهاد)**.

هذا هو **الأمر الثالث**: الجهاد، والمراد به هنا جهاد الأعداء. =

=وجهاد العدوعلى قسمين:

أ) جهاد بالحجة والبيان.

ب) جهاد بالسنان والسلاح.

فأما الأول: وهو جهاد بالحجة والبيان: فهذا واجب مأمور به لكل من قدر عليه، في كل زمان، وفي كل مكان، وفي كل حال بحسبه، وقد أمر الله ﷻ به نبيه ﷺ في مكة قبل أن يشرع الجهاد بالسنان، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥٢]. يعني جهادهم بالقرآن، فهذا جهادٌ بالحجة والبيان.

وأما الثاني: وهو الجهاد بالسنان والسلاح على قسمين:

١ ـ جهاد عيني.

٢ ـ جهاد كفائي.

والله ﷻ أمر بالجهاد ـ كما في هذا الحديث ـ وهو فرض عين على من تعين عليه، وفرض كفاية على عموم الأمة، ولكن على حسب الاستطاعة فإذا لم يكن عندهم استطاعة فإنهم ينتظرون حتى يكون عندهم قوة، فالنبي ﷺ مكث في مكة بعد البعثة (١٣) سنة مقتصراً على الدعوة إلى الله ﷻ، ولم يؤمر بالجهاد؛ لأن المسلمين لا يقدرون في تلك الفترة على الجهاد، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وصار له أنصار وأعوان فرض الله عليهم الجهاد، لأنهم يقدرون عليه.

والهجرة(١) ....

---

(١) **قوله: (والهجرة).**

هذا هو الأمر الرابع: الهجرة، وهي مأخوذة من الهجر، وهو الترك، قال تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝﴾ [المدثر: ٥]، والرجز: الأصنام، وهجرها: تركها، وهذا معناها في اللغة.

أما في الشرع: فهي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، فراراً بالدين.

والهجرة في النصوص قسمان:

القسم الأول: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام.

القسم الثاني: الهجرة مما سوى الله ﷻ إلى الله وحده.

فأما القسم الأول: وهو الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام: وذلك كهجرة الصحابة ﵃ من مكة إلى الحبشة، ومن مكة إلى المدينة، **فهذا النوع من الهجرة ينقسم إلى قسمين:**

أ) هجرة خاصة: وهي من مكة إلى المدينة، وقد انتهت بفتح مكة، حيث قال النبي ﷺ بعد فتحها: **(لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية)** [متفق عليه، صحيح البخاري: ١٧٣٧ ـ صحيح مسلم: ١٣٥٣].

ب) هجرة عامة: وهي من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وهذه باقية إلى قيام الساعة، وهي التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: **(لا تنقطع الهجرة حتى=**

=**تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)** [صحيح سنن أبي داود: ٢١٦٦].

وأما الهجرة من حيث الحكم **فتنقسم إلى ثلاثة أقسام**:

١ ـ هجرة واجبة: وذلك إذا لم يستطع المسلم إظهار شعائر الإسلام، فيأثم إذا تركها شحاً بوطنه أو بماله، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [النساء: ٩٧].

يقول الإمام الشوكاني: (استدل بهذه الآية على أن الهجرة واجبة على من كان بدار الشرك، أو بدار يُعمل بمعاصي الله جهاراً، ولم يكن من المستضعفين) [فتح القدير: ١/ ٥٠٥].

٢ ـ هجرة مستحبة: وذلك لمن كان قادراً على إظهار دينه، فيستحب له الهجرة إلى بلاد المسلمين، لأجل أن يتمكن من جهاد الكفار، وتكثير المسلمين، والتخلص من الكفار ومخالطتهم، والدليل على عدم وجوب ذلك عليه قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

٣ ـ من لا هجرة عليه: وهو العاجز عن الهجرة، إما لمرض أو إكراه على الإقامة فلم يستطع الخروج، أو ضعف من النساء والولدان وشبههم=

=فهؤلاء لا هجرة عليهم، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٨ ـ ٩٩].

ومن خلال بيان حكم الهجرة استخلص العلماء حكم السفر إلى بلاد الكفر، حيث تفرع الحكم في ذلك بحسب القصد:

أ) فإن كان القصد في السفر: طلب علم لا يوجد في بلاد المسلمين أو العلاج، أو الدعوة إلى الله، أو التجارة، فإنه يجوز السفر إليها والإقامة فيها للمصلحة المترتبة على ذلك، **ولكن بثلاثة شروط**:

١ ـ أن يكون عنده علم يمنعه من الشبهات.

٢ ـ أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

٣ ـ أن يتمكن من إظهار دينه، والقيام بعبادة ربه كما أمر الله ﷻ.

ب) وإن كان القصد في السفر: النزهة والسياحة فالقول بالمنع أظهر؛ لأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد، وفرض عليه عداوة المشركين، فما كان ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك فإنه لا يجوز، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: **(أنا بريء ممن يقيم بين أظهر المشركين لا تراءى نارهما)** صححه الألباني في [إرواء الغليل: ١٢٠٧].

فمن سافر من أجل السياحة فهو على خطر عظيم من وجوه:

١ ـ أنه خالف النصوص الدالة على وجوب الهجرة، وتحريم الإقامة عند=

=الكفار، ومن ذلك حديث سمرة ﵁، أن النبي ﷺ قال: **(من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله)** حسنه الألباني في [السلسلة الصحيحة: ٢٣٣٠].

٢ ـ فَقْد الغيرة عنده ـ وهذا شيء ملاحظ ـ فإن الإنسان إذا أقام في بلد تكثر فيه المعاصي فإن غيرته تضعف أو تموت بالكلية.

٣ ـ أن هذه الأسفار لا تسلم غالباً من الإسراف في المصاريف المالية، وهذا فيه إنعاش لاقتصادهم، وتقوية لهم. [انظر حصول المأمول شرح ثلاثة الأصول ص ١٧٠ ـ ١٧٧].

وغير ذلك من المفاسد المترتبة على السفر إلى بلاد الكفر، سلمنا الله وإياكم من الفتن.

ـ بل حتى الهجرة من البلد التي يكثر فيها المعاصي والبدع تدور بين الاستحباب والوجوب، فقد ذكر الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ـ حفظه الله ـ عند شرحه لكتاب [الأصول الثلاثة]: (بأن البلد الذي يكثر فيها المعاصي والبدع ذكر الفقهاء أنه يستحب الهجرة منها، وقد هاجر جمع من أهل العلم من بغداد لما علا فيها صوت المعتزلة، وانتشرت المعاصي). اهـ.

وفصَّل الشيخ صالح آل الشيخ المسألة فقال: (وهكذا الحكم فيمن كان في دار البدعة، ولا يستطيع إظهار السنة والدين، فإنه يجب عليه أن ينتقل إلى دار السنة، وإن كان يستطيع إظهار السنة تصبح الهجرة بالنسبة له مستحبة وليست واجبة). اهـ. [من شريط فضل الإسلام]. =

والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قِيد شبر فقد خلع رِبقة الإسلام من عنقه إلا أن يُراجع[1]، ....

=**القسم الثاني:** الهجرة مما سوى الله ﷻ إلى الله وحده:

كما قال ﷻ: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝ ﴾ [الذاريات: ٥٠]

وذلك بأن يهجر كل ما يشغل عن الله ﷻ، ويتجه ويهاجر إلى الله ﷻ.

ولهذا جاء في الحديث: **(المهاجر من هجر ما نهى الله عنه)** [صحيح البخاري: ١٠]، وهذا يعم أشياء كثيرة تدل على أن حقيقة الهجرة هي هجر مالا يحب الله ﷻ إلى ما يحبه الله ويرضاه، وهذه يختلف فيها الناس بحسب عظم محبتهم لله جل وعلا، ولرسوله ﷺ.

يقول الشيخ صالح آل الشيخ ـ حفظه الله ـ: (وهذه الهجرة مما سوى الله جل وعلا إلى الله جل وعلا وحده تكون في الاعتقادات، وفي عمل القلب، وفي كلام اللسان، وفي استعمال الحواس والجوارح، والأمر فيها عصيب والفتن بعمومها إنما يبتلى الناس فيها في هذا المقام العظيم، هل هاجروا مما نهى الله جل وعلا عنه إلى ما أمر الله جل وعلا به أم أنهم قصروا في ذلك؟ والتقصير يكون سببه ضعف المحبة وضعف الإيمان، ويكون أصحابه ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً). اهـ.

(١) قوله: **(والجماعة فإنه من فارق الجماعة قِيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام=**

=من عنقه إلا أن يراجع).

هذا هو **الأمر الخامس**: الجماعة، والمراد بالجماعة هنا جماعة المسلمين في أبدانهم، فلا يخرج عنهم ويفارقهم لما يترتب على ذلك من المفاسد التي نهى الله تعالى عنها.

وأصل الجماعة التي أمر الله بها يشمل الاجتماع في الدين والجماعة في البدن، وكل منهما متعلق بالآخر، فمتى اجتمع الناس في دينهم حصل لهم الجماعة في أبدانهم، ومتى افترقوا في دينهم فإنه يحصل بينهم الفرقة في الأبدان والبغضاء والشحناء وكراهة بعضهم لبعض.

والاجتماع في الدين يكون بسلوك طريق الجماعة الأولى، وهم جماعة الصحابة والتابعين، وتبع التابعين، الذين لم تظهر فيهم البدع ولم تفشو فيهم الأهواء، وإنما وُجدت وأنكرت، فمن لزم طريقهم فقد سلك طريق النجاة بيقين.

وهذا ما كان يحض عليه ابن مسعود ﵁ عندما كان يقول: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة) إسناده صحيح: [الإبانة لابن بطة برقم ١٧٥].

وكان يقول أيضاً: (من كان منكم متأسياً، فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقهم علماً، وأقلهم تكلفاً =

=وأقومهم هدياً، وأحسنهم حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) [شرح السنة للبغوي: ١/٢١٤]، وهو أثر لا بأس به.

ولهذا كان إبراهيم النخعي يقول: (لو أن أصحاب محمد ﷺ مسحوا على ظفر لما غسلته التماس الفضل في اتباعهم) [الإبانة: ١/٣٦١].

وذلك لمعرفته بفضل الصحابة رضي الله عنهم، وتقدمهم على غيرهم في التأسي والاتباع للنبي ﷺ.

ـ وقوله ﷺ: **(فإنه من فارق الجماعة قِيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع)**: معناه أن من فارق جماعة المسلمين في الدين أو في الأبدان، فلم يدن بلزوم الجماعة، ولزوم طاعة الإمام، وعدم الخروج عليه والنصيحة له، **(قِيد شبر)**: يعني بمسافة شبر، يعني جلس منفرداً عن الجماعة ولو شبراً واحداً بعيداً عنها **(فقد خلع رِبقة الإسلام من عنقه)** وهذا من أحاديث الوعيد التي تُمَرُّ كما جاءت، وفيها تهديدٌ وتخويف للمسلم أن يفارق الجماعة.

مسألة: هل يفهم من قوله ﷺ: **(فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)** أنه كافر؟

المعتمد عند أهل السنة أنه لا يُفهم من ذلك تكفيره، ولكن قد فعل أمراً عظيماً وجللاً أوجب أن خلع الإسلام ـ الذي يدعو إلى الاجتماع وعدم=

ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثى جهنم[1]) فقال رجل: يارسول الله وإن صلى وصام؟..

=الافتراق ـ من عنقه.

ـ وقوله **(إلا أن يراجع)**: يعني إلا أن يتوب؛ لأنه من تاب تاب الله عليه.

(١) قوله: **(ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جُثى جهنم)**:

دعوى الجاهلية لها تفسيران: **الأول**: أنها كل خصلة من خصال الجاهلية أبطلها الإسلام، فيأتي أحد يدعو إليها كما جاء في الحديث في الأبواب المتقدمة: **(ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية)**.

الثاني: أنه تسمى بأسماء الجاهلية التي كانت تدعو إلى العصبية، وأرجع الناس إلى عصبيات الجاهلية، وإلى فخرها بالآباء والقبائل، ومثل هذا يُفرق الناس، ولا يجمعهم على كلمة الإسلام، واسم المسلمين والمؤمنين. ويدخل في هذا الصنف أهل البدع الذين تبنوا آراء خارجة عن آراء الجماعة في العقيدة.

وهذان الصنفان معاً توعدهم الرسول ﷺ بقوله: **(فإنه من جُثى جهنم)**: مأخوذٌ من الجثو على الرُكَب، والمعنى أنهم ممن يُكَبُّ في النار على وجهه وعلى ركبه.

قال: (وإن صلى وصام فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله[1]) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[2].

وفي الصحيح[3]: (من فارق الجماعة شبراً [فمات فميتة] جاهلية[4])..

---

(١) قوله: **(فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: وإن صلى وصام..)**: وهذا يدل على عظم هذه الكبيرة، وأن أصحابها متوعدون بأشد الوعيد، والعياذ بالله.

(فادعوا بدعوى الله): يعني تسموا بتسمية الله تعالى التي سماكم، وهذه التسمية هي: (المسلمين والمؤمنين عباد الله): يعني يا عباد الله، فالله ﷻ سمى عباده (المسلمين)، كما في قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨]، وأيضاً سماهم (المؤمنين)، كما في قوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، فسماهم بهذين الاسمين الشريفين الذي يجمع أعظم خصلتين وهما الإسلام والإيمان.

(٢) إسناده صحيح أخرجه أحمد: ١٧٨٠٠، والترمذي بتحقيق الألباني: ٣٠٣٥.

(٣) صحيح البخاري: ٦٦٤٦ ـ صحيح مسلم ١٨٤٩.

(٤) قوله ﷺ: **(من فارق الجماعة قِيد شبراً فمات فميتة جاهلية)**: صدرُ هذا الحديث قوله ﷺ: **(من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من فارق الجماعة..)**.=

وفيه(١): (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟(٢))......................

=أ) فإذا نظرنا إلى هذا الحديث باعتبار صدره، دلَّ على وجوب لزوم الجماعة، والبقاء على بيعة الإمام، وإن كان جائراً، مادام مسلماً، وطاعته تكون في غير معصية الله ﷻ.

وقوله: **(من فارق الجماعة.... فميتة جاهلية)**: يعني من فارق إمام المسلمين، وجماعة المسلمين فمات فإنه يموت ميتة جاهلية، كحال أهل الجاهلية الذين يموتون وليس في أعناقهم بيعة، والعلماء رحمهم الله يقولون: إن ما أضيف إلى الجاهلية فإنه يراد به الذم لهذا الفعل على اختلاف درجاته فقد يكون كفراً، وقد يكون معصية، ولكن في كل الأحوال فهو مذموم.

وكل عمل من أعمال الجاهلية فإنه خروج عن دعوى الإسلام.

ب) ولو نظرنا إلى هذا الحديث بقطع النظر عن جزئه الأول، وأخذنا بعموم اللفظ، فإنه يحتمل أن من فارق الجماعة سواءً فارقهم باسم تسمى به غير جماعة المسلمين، أو خرج عليهم فقتل مؤمنهم، أو أنه خرج على إمامهم فكل هذا يدخل في قوله ﷺ: **(من فارق الجماعة)**.

(١) في صحيح البخاري: ٤٦٢٢ ـ وصحيح مسلم: ٢٥٨٤ بنحوه، ليس فيه **(وأنا بين أظهركم)**.

(٢) قوله ﷺ: **(أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم)**: قال عليه الصلاة=

قال أبو العباس: (كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن، من نسب أو بلد أو جنس، أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية[1]، ....

=والسلام ذلك عندنا تخاصم غلامان، أحدهما من الأنصار، والآخر من المهاجرين، فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجريّ: يا للمهاجرين فاجتمعوا وكاد أن يكون بينهما مقتلة، فخرج النبي ﷺ وقال: **(أبدعوى الجاهلية....)**: يعني أبتسمية الجاهلية، وبسنة الجاهلية، وأنا لا أزال حياً بين أظهركم. وهذا فيه تغليظ وإنكار شديد على ذلك، كما يدل على أن الاسم إذا تُعصب له فإنه مذموم، حتى ولو كان الاسم شرعياً، فكيف بالأسماء المحدثة؟!

فمن المعلوم أن اسم المهاجرين والأنصار من الأسماء الممدوحة في القرآن الكريم، وكذا في السنة الشريفة، ولكن لما خرجت مخرج التعصب ذمها الرسول ﷺ وسماها **(دعوى الجاهلية)**.

(١) قال أبو العباس ـ ابن تيمية ـ رحمه الله: (كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد..... فهو من عزاء الجاهلية): يعني كل تسمية خرجت عما سمى الله جل وعلا بها عباده في القرآن الكريم، أو عن تسمية الإسلام: =

=**من نسب**: أي ينتسب إلى قبيلة من القبائل يوالي ويعادي فيها، بل ويظلم لأجل النسب، ولا يقام لاسم الإسلام ما يستحقه مما أمر الله به.

أو بلد: أي أن تكون النسبة إلى بلد يوالي ويعادي عليه، كما ينسب مثلاً ويقال: مصري، شامي، سعودي، بخاري.... الخ.

أو جنس: يُوالي على جنس العرب فقط، أو جنس العجم فقط، ولا يقيم لاسم الإسلام ولا لدعوى الإسلام مقامها وهذا من القوميات التي انتشرت في الزمان الأخير.

أو مذهب: سواء كان المذهب عقدياً أو فقهياً أو سلوكياً.

مذهباً عقدياً: مثل المعتزلة والخوارج والمرجئة، ونحو ذلك من المذاهب العقدية التي جاءت تسميتها بعد مضي الجماعة الأولى.

مذهباً فقهياً: مثل المذاهب الأربعة [الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة].

مذهباً سلوكياً: مثل مذاهب الصوفية وطرقها المختلفة كالشاذلية والحصافية والقادرية والنقشبندية.... الخ.

فهذه كلها من النسب التي هي من عزاء الجاهلية إذا تجاوزت التعريف إلى اعتقاد صحة ما عليه أهلها في كل شيء.

أو طريقة: سواء كانت طريقة صوفية، أو كانت طريقة دعوية، أو كانت حزبية، أو سياسية.

فإن هذا كله كان عند أهل الجاهلية، فجاء الله تعالى بهذا الإسلام فأبطل=

=كل عزاء جاهلية إلا ما كان فيه اسم المسلمين والمؤمنين.

❖ وهذه التسميات الحادثة في هذه الأمة بأنواعها سواء كانت بنسب أو قبيلة أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فإنها على ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن تكون ممدوحة.

وذلك إذا كانت من التسميات التي تُميز المسلمين بما نُصَّ في الكتاب والسنة على حسنه، وعلى اعتباره.

- فالله تعالى سمى المسلمين باسم الإسلام والإيمان.

- وكذلك الوصْف بأوصاف حسنة مثل: المتقين، الأبرار، فهذه أوصاف لاسم المسلم والمؤمن كلٌّ له نصيب بحسبه

- وكذلك ما جاء بالوصف كلزوم السنة والجماعة، فاسم السنة والجماعة من الأسماء التي جاءت في الأحاديث وأصلها في القرآن.

ولهذا يُسمى خاصة أهل الإسلام: أهل السنة والجماعة؛ لأنهم لزموا سنة النبي ﷺ ولزموا جماعة المسلمين، والنبي ﷺ هو الذي أذن بهذه التسمية بقوله في حديث الافتراق: **(وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي؟ قال: هي الجماعة)** وفي رواية: **(ما أنا عليه اليوم وأصحابي)**، وقال في حديث العرباض: **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)**.

ولذلك أئمة السلف وأهل الحديث أقاموا هذا الاسم مقام الأسماء=

=المحدثة، فلما تفرقت الأسماء وتعددت رجعوا إلى الاسم الذي يميز أهل الإسلام المتمسكين بالأمر الأول عما عداهم.

ولذا سموا المتمسكين بالأمر الأول: أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث وأهل الأثر، وأتباع السلف، والسلفية ونحو ذلك، وهذه كلها في معنى واحد، لأنها ترجع بالأمر إلى ما كانت عليه الجماعة الأولى التي نص النبي ﷺ على أنها ناجية.

الحالة الثانية: أن تكون مذمومة.

وهذه مما حدث في الأمة من الأهواء المختلفة التي اتخذت لنفسها اسماً يخالف الاسم الذي كان عليه الصحابة كالخوارج، والمرجئة، والمعتزلة وأشباه ذلك.

وكل تسمية فيها إشارة لمذهب يشتمل على باطل في العقيدة أو باطل في السلوك فإن التسمية في نفسها مذمومة، ولو لم يقترن بها شيء آخر فكيف إذا اقترن بها التعصب، أو اقترنت بها بدع أخرى؟!

ويدخل فيها الأسماء المحدثة للجماعات الإسلامية بأنواعها التي جعلت لها أسماء يصدق عليه أنه اسم لحزب يميز هذا الحزب عن غيره، كحزب التحرير، وحزب الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ وغيرها، فهذه تسميات محدثة وهي مذمومة؛ لأن الاسم في نفسه مشتمل على دعوى تفرّق المسلمين وتنصر من كان في هذا الحزب دون غيره. =

بل لما اختصم مهاجريٌ وأنصاري فقال المهاجري: ياللمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار قال ﷺ: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟) وغضب لذلك غضباً شديداً) انتهى كلامه.

=**الحالة الثالثة**: أن تكون مباحة.

وهي الأسماء المحدثة للتعريف، وليس للموالاة والمعاداة فيه أو للتعصب عليه.

فالله تعالى سمى المهاجرين مهاجرين، وسمى الأنصار أنصاراً، وصار هذا الاسم باقياً عليهم، كما نادى الرسول ﷺ قريشاً باسمها، وكذا القبائل وهذا كله للتعريف فلا حرج في ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وكذا النسبة إلى المذاهب الفقهية من باب التعريف.

والنسبة إلى البلد والإقليم والجماعة، مثل جماعة تحفيظ القرآن الكريم كل هذا من التسمية المباحة إذا كان للتعريف. ولكن متى تحولت إلى تعصب وموالاة ومعاداة فإنه يجب إبطال هذا التعصب وهذه الموالاة والرجوع إلى الأصل في ذلك.

* * *

باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه(1) ....

---

(1) لما ذكر في الباب المتقدم (باب وجوب الإسلام) ذكر هنا (باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه) ليبيِّن أن الفضل الكامل للإسلام إنما يكون لمن دخل الإسلام ، وعمل بشرائعه، وترك ما يخالف الإسلام فهذا هو الذي يتحقق له الفضل، وهو الذي يجب على كل مسلم أن يفعله، لا أن يأخذ بعضه ويترك بعضه فمن فعل ذلك فهو كافر بالإسلام. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا (١٥١)﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١].

وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

فالذي يؤمن ببعض الإسلام ويكفر ببعض هذا كافر بالجميع، والواجب على كل مسلم أن يقبل الإسلام كله، ويؤمن به كله، ويعمل بما يستطيع منه، أما أن يؤمن ببعض ويكفر ببعض، أو يأخذ منه ما وافق هواه، ويترك ما خالف هواه، هذا لا يجوز.

وقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾(١) [البقرة: ٢٠٨].

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾(٢) [النساء: ٦٠]......................................

---

(١) وقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾.

المراد بالسلم: الإسلام، ومعنى كافة: جميعاً، والمعنى: يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في جميع شرائع الإسلام، ولا تتركوا شيئاً منها. ومعلوم أن من شرائع الإسلام التي جاءت في الكتاب والسنة أن الله تعالى أمرنا بترك ما سوى الإسلام سواءً من الكفر أو من البدع والمحدثات، أو من المعاصي التي نهى الله جل وعلا عنها.

(٢) وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾: هذه الآية في بيان أن من الدخول في الإسلام كافة تحكيم الشريعة، فإنه من أمور الإسلام، فالذي يريد أن يتحاكم إلى الطاغوت فإنه بفعله هذا قد ضل ضلالاً بعيداً؛ لأنه ترك شيئاً من شعائر الإسلام لم يعمل بها، وأراد غير الإسلام.

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما =

=قال: (كان أبو بردة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه، فتنافر إليه أناس من أسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ ... الآية. [صحيح الاستيعاب في بيان الأسباب لسليم الهلالي: ١/٤١٨].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: استفهام استنكاري.

وقوله سبحانه: ﴿يَزْعُمُونَ﴾: دليل على أن دعوى الإيمان غير صحيحة، فلا يجتمع الإيمان مع إرادة الحكم والتحاكم إلى الطاغوت، فمن زعم أنه مؤمن، واختار حكم الطاغوت على حكم الله فهو كاذب.

وقوله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]: يريدون مجرد نية أن يتحاكموا إلى الطاغوت، فكيف لو حكموا كان الأمر أشد. إذا نوى بقلبه فهو ليس بمؤمن، فكيف إذا نفذ هذا؟!

لهذا وصفهم الله ﷻ في آخر الآية بالضلال البعيد، ومن وُصف بالضلال لا شك أن عمله الذي استحق به هذا الوصف غير جائز. فالواجب عليهم أن يتركوا ما سوى الإسلام، وأن يعملوا بشرائع الإسلام.

وإتماماً للفائدة نورد مسألتين مهمتين:

المسألة الأولى: الحكم بغير ما أنزل الله تعالى متى يكون كفراً اعتقادياً (أكبر) ومتى يكون كفراً عملياً (أصغر)؟ =

=ذكر الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ في رسالته [تحكيم القوانين: ص ٥ ـ ٨].

ـ أن الحكم بغير ما أنزل الله تعالى يكون كفراً أكبر في ست حالات نوردها مختصرة كالتالي:

١ ـ إذا جحد الحاكم أحقية حكم الله ورسوله.

٢ ـ إذا اعتقد الحاكم أن حكم غير الله مساوٍ لحكم الله.

٣ ـ إذا اعتقد الحاكم أن حكم غير الله أفضل من حكم الله.

٤ ـ إذا اعتقد الحاكم أن حكم غير الله ليس مساوٍ لحكم الله، ولا أفضل من حكم الله، ولكن جائز.

٥ ـ تحكيم القوانين الوضعية.

٦ ـ تحكيم سلوم القبائل.

ـ ويكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً أصغر: إذا حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى.

ثم قال: ولكن معصية سماها الله تعالى في كتابه كفراً أعظم من معصية لم يسمها كفراً.

المسألة الثانية: مسألة الحكم والتحاكم إلى غير شرع الله، وهذه لها أربع حالات ذكرها الشيخ صالح آل الشيخ في كتابه [التمهيد شرح كتاب=

=التوحيد ص ٢٤٩، ٢٥٠] أذكرها هنا باختصار كما يلي:

الحالة الأولى: حال المشرِّع، وهذا كافر، وكذا من أطاعه في تحليل الحرام وتحريم الحلال فقد اتخذه رباً من دون الله.

الحالة الثانية: حال الحاكم بذلك التشريع: وهذا فيه تفصيل:

أ) من حكم مرة أو مرتين أو أكثر، ولم يكن ديدناً له، وهو يعلم أنه عاص بتحكيم غير شرع الله، فهذا لا يكفر إلا أن يستحل.

ب) من لا يحكم بشرع الله بتاتاً، ويلزم الناس بغير شرع الله، فحكمه على قولين:

١ ـ لا يكفر حتى يستحل.

٢ ـ كافر؛ لأن مثل هذا لا يصدر في الواقع من قلب قد كفر بالطاغوت وهذا ما رجحه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وكذا صاحب (التمهيد) الشيخ صالح آل الشيخ.

الحالة الثالثة: حال المتحاكمين: وهذا أيضاً فيه تفصيل:

أ) إن كان يريد التحاكم إلى الطاغوت، وله رغبة في ذلك، ولا يكره ذلك، فهذا كافر.

ب) وإن كان لا يريد التحاكم ولا يرضاه، وإنما أجبر عليه، وكان الحق شرعاً له، ولا يتوصل إليه إلا بالتحاكم إلى القانون، جاز له التحاكم للوصول إلى حقه. =

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾⁽¹⁾ [الأنعام: ١٥٩]..

=الحالة الرابعة: حال الدول التي تحكم بغير شرع الله: وهذا بحسب ظهور ذلك في الدولة أو خفائه:

أ) فإن كان الحكم بغير شرع الله خفياً نادراً، أو ظاهراً قليلاً ويُنكر فالدولة دولة إسلام.

ب) وإن كان كثيراً فاشياً، فالدولة دولة كفر.

(١) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا ﴾: هذه الآية تدل على ذم أهل الأهواء من الكفار وأهل البدع الذين فرقوا دينهم شيعاً وأحزاباً فهؤلاء لم يدخلوا في الإسلام جميعه، وإنما اتبعوا أهواءهم، فأنكر الله ﷻ عليهم وقال: ﴿ لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾ يعني أن الرسول ﷺ بريء من هذا لأن دين الله واحد، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: ١٩]. وهذه الأمة أمة واحدة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وفي الآية الأخرى: ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. وحزب واحد، كما قال سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]. =

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ ...الآية [آل عمران: ١٠٦]، تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف(١) (٢). ....

=وصراط الله واحد، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وإن ما يحصل الآن من انقسام المسلمين إلى جماعات وأحزاب، كل يدعو إلى جماعته وحزبه، ويضلل الأحزاب الأخرى ويتنقصهم هذا لا يجوز بين المسلمين، بل هو من أمور الجاهلية، فالمسلمون يدٌ واحدة، وجماعة واحدة وحزب واحد، وإذا اختلفوا رجعوا إلى الكتاب والسنة كما أمرهم الله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، فمن كان معه الصواب رجعنا معه، ومن كان على خطأ يرجع عن خطأه، ولا يتعصب لرأيه، أو حزبه، أو جماعته.

(١) **قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف**: في هذه الآية التي أوردها ابن عباس رضي الله عنهما ثناء ووعيد: ثناء على أهل السنة=

=والائتلاف، الذين اجتمعوا على الحق وكانوا جماعة واحدة قائمة على الكتاب والسنة، ووعيد على أهل البدع والاختلاف، ثم بيَّن مآل كل فريق.

فقال في أهل السنة: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧ ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

وقال في أهل البدع: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وأهل العلم يستدلون بما نزل في الكفر الأكبر على الكفر الأصغر أو على المعاصي والبدع.

وهذه الآية ظاهرة الدلالة على وجوب الدخول في الإسلام كله، لأن الله تعالى ذم أهل البدع والاختلاف، لأنهم لم يلتزموا بشعائر الإسلام، ولو التزموها لكانوا أهل سنة وائتلاف هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنهم لما لم يلتزموا شعائر الإسلام فإنهم لم يتركوا ما سوى الإسلام؛ لأن البدع والاختلاف ليس من الإسلام في شيء.

(٢) نقل ابن كثير رحمه الله قول ابن عباس رضي الله عنهما في شرح الآية فقال: (يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة) [تفسير ابن كثير: ١ / ٣٩٨].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية [لكان] في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل [تفرقت] على [ثنتين] وسبعين ملة، وتفترق [أمتي] على ثلاث وسبعين [ملة]، كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)(١) ....

---

(١) قوله ﷺ: **(ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل....)** هذا إخبار معناه التحذير من هذا الذي سيقع في آخر الزمان من مشابهة هذه الأمة لبني إسرائيل في التفرق والاختلاف، وإحداث المحدثات، وهذا خبر منه ﷺ ليتفطن المسلمون، فيسدوا كل ذريعة قد توصلهم إلى مشابهة الأمم السابقة.

ـ وقوله: **(حذو النعل بالنعل)**: أي عند المشي تكون إحداهما حذو الأخرى أي مقابلة لها. أو حذو النعل بالنعل: مأخوذ من الحذو وهو القطع، لأنهم إذا أرادوا صنع النعال فإنهم يقطعون الجلود، ويقيسون بعضه على بعض، والمراد من هذا مماثلة هذه الأمة لبني إسرائيل في المحدثات. =

وليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق الصدوق في هذا المقام، خصوصاً قوله: (ما أنا عليه وأصحابي). يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة[1]. رواه الترمذي[2]. ....

=ـ وقوله: **(حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك)**: هذا مبالغة في التشبه بهم، فبيَّن أن مماثلة هذه الأمة لبني إسرائيل شديدة. وفي الحديث الآخر: **(حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)** وهذا فيه التحذير من التشبه باليهود والنصارى، وأنه خطر عظيم على المسلمين.

ـ وقوله: **(وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة...)** في هذا إخبار منه ﷺ بافتراق أمته إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي التي بقيت على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، ومن لم يكن كذلك فهو في النار، إما لكفره، وإما لضلاله، فليس كل الفرق كافرة، ولكن بعضها كافرة، وبعضها دون الكفر لكن كلها متوعدة بالنار، ولا نجاة من النار إلا باتباع الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

(١) قوله: **(وليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق الصدوق في هذا المقام، خصوصاً قوله: (ما أنا عليه وأصحابي))**: أي ليتأمل المؤمن=

=الناصح لنفسه كلام الرسول ﷺ الصادق فيما أخبر به ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ ﴾ [النجم: ٣ـ ٤]، الصدوق عند الله تعالى وعند خلقه، وأن ما قاله عليه الصلاة والسلام من أمر الافتراق لابد أن يحدث، ولا نجاة منه إلا بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه. وهذا يستدعي منا أن نتعلم ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه في العقيدة والعمل، لأن النجاة متعلق بهذا.

ثم قال: (يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة): أي أن هذه الموعظة من النبي ﷺ إنما يعقلها أهل القلوب الحية، الذين هم أهل الإيمان الصحيح.

يقول الشيخ صالح الفوزان: (فهذه الموعظة من الرسول ﷺ لو وافقت من القلوب حياة، لكان للقلوب معها شأن بالاعتبار والامتثال، والحرص على معرفة الحق والعمل به، وألا يكون الإنسان إمعة مع الناس أين ما كانوا، بل يكون مع الحق دائماً وأبداً، ولا يقلد بغير هدى تقليد الأعمى، بل عليه أن يعرف الحق أولاً، ثم يعمل به، ويدعو إليه وهذا هو الواجب على كل مسلم، أما أن نقول: دعوا الناس، حرية الرأي، الرأي والرأي الآخر، لا تحجروا على الناس، لا تضيقوا على الناس، هذا كلام باطل، هذا كلام أهل الضلال والعياذ بالله هذا مخالف لقول الرسول ﷺ، الواجب أن ندعوا الناس إلى الصواب=

=وإلى الحق، لا نقرهم على ضلالهم، وعلى ما هم عليه ونقول حرية الرأي. هذا ليس فيه حرية رأي، بل فيه الكتاب والسنة، لو كان فيه حرية رأي لما احتجنا إلى الكتب والرسل، بل كلٌّ يتبع رأيه ويتبع عقله، فالرأي إذا خالف الوحي يجب أن يترك، وأما إذا وافق الوحي فالحمد لله.

يقول علي رضي الله عنه: (لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت النبي ﷺ يمسح أعلى الخف) فالدين ليس بالرأي بل بالاتباع). اهـ.

(٢) رواه الترمذي في سننه بإسناد حسن. [صحيح سنن الترمذي: ٢١٢٩].

وحديث الافتراق مرويٌّ من طريق ثلاثة عشر صحابياً من أصحاب رسول الله ﷺ، وأصحها حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي ذكره المؤلف وليس فيه ذكر النار، وهو قوله: **(كلهم في النار)** [صحيح سنن الترمذي: ٢١٢٨].

وأيضاً جاء في حديث معاوية بإسناد حسن ـ كما سيورده المؤلف رحمه الله ـ وجاء من حديث أبي أمامة بأسانيد حسنة، جاء في بعض ألفاظها: **(الجماعة)**، وفي بعضها: **(ما أنا عليه وأصحابي)** وفي بعضها: **(السواد الأعظم)** وهذه الألفاظ الثلاثة كلها تدل على شيء واحد، وهو الاستمساك بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة ﵁ وصححه، لكن ليس فيه ذكر النار[١]، وهو في حديث معاوية عند أحمد وأبي داود[٢] وفيه: (وإنه سيخرج من أمتي [أقوام تجارى] بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، لا يبقى منه عِرقٌ ولا مفصل إلا دخله)[٣]. وتقدم قوله: (ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية)..................

---

(١) أي ليس فيه قوله ﷺ: **(كلهم في النار)** وهذا الحديث أخرجه الترمذي أيضاً في سننه [صحيح سنن الترمذي: ٢١٢٨].

(٢) انظر المسند: ١٦٩٣٧، وإسناده حسن، وسنن أبي داود برقم [٤٥٩٧] وإسناده حسن، وهو في صحيح سنن أبي داود برقم [٣٨٤٣].

(٣) قوله ﷺ: **(أنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء...)**.

نهى الله ﷻ عن اتباع الهوى فقال: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣]، وقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

فالذي يبلغه الحق ولا يتبعه، ولا يقبله هذا متبع لهواه، ويُعاقب بأن الله يختم على قلبه فلا يقبل الحق بعد ذلك عقوبة من الله، فاتباع الهوى شر =

=والواجب على المسلم أن يتبع الحق سواء وافق هواه أو خالفه، قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وفي آخر الزمان تكثر الأهواء في الناس، **(تجارى بهم)**: بمعنى أنها تدخل في عروقهم. **(كما يتجارى الكَلَب)**: وهو مرض من عضة الكلب الذي يُصاب بالسعار، ويسمى داء الكَلَب، فإذا عضه الكلب فإن ريقه يدخل في جسم الإنسان، ويدخل في عروقه، ولا علاج له، ثم يموت في النهاية فكذلك الأهواء مثل داء الكَلَب تتجارى في الناس وهذا الأمر نشاهده الآن، والناس يتفرقون بالأهواء، ولا علاج لهم إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة، على فهم السلف الصالح.

* * *

باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر(١)........................

---

(١)عقد الإمام رحمه الله هذا الباب تحذيراً من خطر البدعة وأنها أشد من كبائر الذنوب.

والبدعة لغة: الشيء المحدث على غير مثال سابق. ومنه قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقرة: ١١٧]، أي أن الله خلق السموات والأرض من عدم، وأوجدهما على غير مثال سابق.

والبدعة شرعاً: إحداث شيء في الدين ليس له أصل من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله ﷺ.

وقد أكمل الله تعالى لنا الدين قبل وفاة النبي ﷺ، فقال عز من قائل: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣]، فكل عبادة ليس عليها دليل من كتاب ولا سنة فهي مذمومة مردودة.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)** متفق عليه. [صحيح البخاري: ٢٥٥٠، صحيح مسلم: ١٧١٨]

وفي رواية لمسلم: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)** [صحيح مسلم: ١٧١٨].

والبدعة شر ولو حسن قصد فاعلها؛ لأن الرسول ﷺ قال: **(إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهُدى هُدى محمد وشر الأمور محدثاتها)** =

= [صحيح مسلم: ٨٦٧]. فهذا دليلٌ على أن البدعة شر لا خير فيه أبداً.

كما أنه ليس هناك بدعة حسنة كما يقول أهل البدع؛ لأن الرسول ﷺ قال: **(وكل بدعة ضلالة)** [صحيح مسلم: ٨٦٧]. فمن أتى بعبادة أو عمل يتقرب به إلى الله، وليس له دليل من كتاب الله و لا سنة رسوله ﷺ فهو بدعة وضلالة وشر، وما حدثت بدعة إلا ورفع مثلها من السنة.

وقد اهتم العلماء بالتحذير من البدع، وألفوا مؤلفات كثيرة في ذلك مثل: كتاب [الاعتصام] للشاطبي، و [البدع والنهي عنها] لابن وضاح و[الباعث على إنكار البدع والحوادث] لأبي شامة، وغيرها.

والذنوب تنقسم إلى قسمين:

أ) صغائر: جاء النهي عنها، ولم يرتب عليها شيء مما ذكر في الكبيرة.

وقد ذكرت في القرآن باسم (اللمم)، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾ [النجم: ٣٢].

ب) كبائر: كل ذنب ترتب عليه حدٌّ في الدنيا، أو غضب، أو وعيد أو لعنة، أو تبرؤ من فاعله.

وأكبر الكبائر: الشرك بالله تعالى؛ لأن الله أخبر أنه لا يغفر لصاحبه.

والكبائر التي دون الشرك تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، هذا إذا لم يتب منها في الدنيا.

ومرتكب الكبيرة ـ دون الشرك ـ لا يكفر عند أهل السنة، وإنما يكون =

لقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾(١) [النساء: ٤٨]..

= ناقص الإيمان أو فاسقاً.

وأما عند الخوارج فهو كافر في الدنيا، وعند المعتزلة في منزلة بين المنزلتين وأما في الآخرة فهو خالد مخلد في النار عند الخوارج والمعتزلة.

والبدعة أشد من الكبائر من عدة وجوه:

الأول: أن البدعة إحداث في الدين لم يشرعه الله، وصاحبها يظن أنها من الدين، وأما مرتكب الكبيرة فلا يدعي أنها من الدين، بل يعترف أنه عاصٍ، ولكن قادته الشهوة فوقع في المعصية.

الثاني: أن صاحب البدعة يرى أنه على حق، وأن عمله صحيح، ولذلك قلَّ أن يتوب، بينما صاحب الكبيرة يعرف أنه مخطئ، ويُرجى أن يتوب.

الثالث: أن المبتدع يفتري على الله الكذب، فيشرع مالم يشرعه الله ﷻ ولا رسوله ﷺ، بخلاف العاصي الذي يعرف أن فعله هذا محرم، وأنه عاصي.

الرابع: أن المبتدع يقتدي به الناس، ويتعبدون الله ببدعته، وخصوصاً إذا كان عنده نصيباً من العلم، وعنده عبادة وتقى وورع، بخلاف العاصي فإن الناس يمقتونه، ويذمونه، ولا يقتدون به.

(١) وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾: =

= ذكر الإمام رحمه الله هذه الآية تحت باب (ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر) لينبه إلى أن البدعة قد تكون شركاً؛ لأن الله جل جلاله خلق الخلق لعبادته، فإذا عبدوا معه غيره فقد أحدثوا في دين الله ما ليس منه. وهذا أعظم البدع لأنه شَرع ديناً لم يأذن الله به، ولا يرضى به.

والبدعة الشركية تخرج من الدين، ولا يغفرها الله تعالى إلا بالتوبة فإذا مات عليها فهو مخلد في النار، ومن أمثلتها: دعاء غير الله تعالى والاستغاثة بالأموات، والذبح للقبور.

وعلى هذا يمكن تقسيم البدع ـ من حيث عظم الذنب ـ إلى ثلاث درجات:

١ ـ البدع المكفرة: وهي بدع الشرك، والبدع التي تخل بأصول الإسلام الناقضة للدين، حتى ولو لم تكن شركاً مثل: إنكار المعلوم من الدين بالضرورة، أو الإعراض عن الدين بالكلية، حتى ولو لم يكن في ذلك شيء من الشرك الصريح فإنه يعد من البدع المكفرة.

٢ ـ البدع المغلظة: وهي من كبائر الذنوب، ومن أعظم الكبائر والبدع المغلظة، وهي الأكثر مما يقع فيه أهل البدع في العصور المتأخرة والتي منها الموالد البدعية، والبناء على القبور، واتخاذ المزارات والمشاهد، والتبرك بما لم يرد الشرع ببركته.

٣ ـ البدع الصغيرة: وهي التي يقع فيها أكثر جهلة المنتسبون إلى البدع ـ إذا لم يقعوا في كبائر البدع ـ وقد يقع فيها المنتسبين إلى السنة مثل: التزام =

وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[1] [الأنعام: ١٤٤]...

وقوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[2] [النحل: ٢٥]........

= المسبحة عند التسبيح، وبعض التصرفات عند المآتم والجنائز.

(١) وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾: = =الكذب على الله ﷻ باب واسع يدخل فيه التشريع بما لم يشرعه الله والابتداع في دين الله، ونسبة البدع إلى الشرع، وهذا داخل في الافتراء على الله تعالى بالكذب.

(٢) وقوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾: أراد الإمام أن يُبيِّن أن صاحب البدعة يتحمل وزره ووزر من يقتدي به إلى يوم القيامة، لأنه قدوة للناس فيتبعونه، خصوصاً إذا كان يدعو إلى البدعة ويحسنها، وكم من بدعة انتشرت في الناس وتوارثوها جيلاً بعد جيل بسبب المبتدع الأول الذي اخترعها فيأخذ آثام كل من اتبعه.

ولهذا جاء في الحديث: (**لا تُقتل نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول**=

وفي الصحيح[1] أنه ﷺ قال في الخوارج: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم) وفيه[2] أنه: (نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا)[3]..........

=**كفلٌ من دمها، لأنه أول من سن القتل)** متفق عليه. [صحيح البخاري: ٣١٥٧، صحيح مسلم: ١٦٧٧].

فكل من قتل نفساً بغير حق يلحق ابن آدم الأول كفلٌ من دمه، والعياذ بالله.

(١) صحيح البخاري: ٣٤١٥.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وهو بمعناه في حديث عوف بن مالك الأشجعي وفيه: **(وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قال: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة)** [صحيح مسلم: ١٨٥٥].

(٣) ذِكرُ حديث الأمر بقتل الخوارج مع حديث النهي عن قتل أمراء الجور دليل على فقه الإمام رحمه الله ودقة استنباطه بعبارة وجيزة تشبه طريقة الإمام البخاري رحمه الله في تصنيفه للصحيح.

فسياقه لهذا الحديث على هذا الوجه والاختصار يقصد به أن البدعة أغلظ من كبائر الذنوب، بدليل أن النبي ﷺ أباح قتل الخوارج لبدعتهم ومع ذلك لم يجز قتل أمراء الجور؛ لأن عملهم من جملة المعاصي، وليس من=

=أنواع البدع.

والخوارج: هم الذين يخرجون على ولاة أمر المسلمين، ويخلعون السمع والطاعة، ويخرجون عليهم بالسيف ويكفرونهم، ويستحلون دماءهم.

وقد أمر النبي ﷺ بقتلهم لكف شرهم، والقضاء على بدعتهم؛ لأنه من أصول أهل السنة والجماعة السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، لما يترتب على ذلك من المصالح العظيمة من حقن الدماء، واجتماع الكلمة وإقامة الحدود فإذا انتقض الأمر ضاعت هذه المصالح، وسُفكت الدماء وانتهكت الأعراض والأموال، وعطلت الحدود... إلى غير ذلك.

فمن خرج عن هذا فقد ابتدع في دين الله ما ليس منه، وإن كانوا يظنون أنهم ينكرون المنكر، ويجاهدون في سبيل الله؛ بل إن المنكر الذي ارتكبوه بخروجهم أشد من المنكر الذي يزعمون أن ولي الأمر فعله، أو أنه فعله بالفعل، فالخروج عليه أشد مفسدة.

وخطر الخوارج ليس على ولاة الأمر فحسب، بل كذلك على الأمة، لذا فقد أمر النبي ﷺ بقتلهم، وقد قاتلهم عليّ رضي الله عنه وقتل منهم مقتلة عظيمة يوم النهروان، ولا يزال ولاة أمر المسلمين يقاتلونهم كلما ظهرت منهم طائفة، كما جاء في الحديث: **(كلما ظهر منهم قرن قُطِع)** [صحيح سنن ابن ماجه: ١٤٤].

وأمراء الجور: يعني بهم الأمراء العصاة، الذين معصيتهم دون الكفر ولو=

عن جرير بن عبد الله ﷺ أن رجلاً تصدق بصدقة، ثم تتابع الناس، فقال رسول الله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل

=كانوا فساقاً، فإنه لا تنخلع طاعتهم والسمع والطاعة لهم، وفسقهم ضرره عليهم، وأما الخروج فضرره على المسلمين، ولا شك أن المعصية ضرر ولكن الخروج على ولي الأمر، وشق عصا الطاعة أشد ضرراً من المعصية نفسها.

وفي قوله ﷺ: **(ما صلوا)**: فيه دليل على مكانة الصلاة في الإسلام وأن من ترك الصلاة كفر، فالرسول ﷺ جعل الصلاة مانعة من القتل ومانعة من الخروج على ولي الأمر، وإن كان عنده مخالفات ومعاصي، فإنه يُصبر عليه، لما في ذلك من المصلحة العظيمة التي تربو على مفسدة معصيته في نفسه.

وأصل الحديث قوله ﷺ: **(خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قال: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة)** [صحيح مسلم: ١٨٥٥].

بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء[1])

---

(١) سبب هذا الحديث قصة: وهي أنه جاء قوم من مضر إلى النبي ﷺ وقد بدا عليهم الفقر والحاجة، فرقَّ النبي ﷺ لهم لما رأى من حالهم وبؤسهم ثم نادى بالصلاة، وخطب وحث على الصدقة، ورغب فيها، فجاء رجلٌ معه صرة من الذهب كادت يده أن تعجز عنها، فوضعها بين يدي الرسول ﷺ فتهلل وجهه وسُرَّ سروراً عظيماً، وتتابع الناس في الصدقة حتى اجتمع كوم من الصدقات عند الرسول ﷺ فقال: **(من سن في الإسلام سنة حسنة...)**. فهذا الحديث عام في كل من عمل خيراً واقتدى الناس به، وهو يمثل قاعدة عظيمة من قواعد الشرع.

ومعنى قوله: **(من سن في الإسلام سنة حسنة)**: أي من أحيا سنة، وذلك لأن الصدقة سنة، وهذا الرجل أحياها وأتى بمال كثير، فالناس تتابعوا من بعده، فكان هو السبب فله أجرها، وأجر من عمل بها، ولا يكون الفعل سنة حسنة إلا وقد جاء الأمر به في الشريعة؛ لأن الله قد أكمل لنا الدين.

ومعنى قوله: **(ومن سن في الإسلام سنة سيئة)**: يعني من ابتدع بدعة وأحدث في الإسلام ما ليس منه. فمثل هذا يكون عليه وزرها ووزر من عمل بها. فهذا فيه تحذير من إحداث البدعة، وأن شرها لا يقتصر على من فعلها، بل يذهب قسط منها على من أحدث البدعة.

وهذا الحديث يقلبه أهل الأهواء في الاستدلال على مشروعية البدع، فمن=

رواه مسلم(١)

وله مثله من حديث أبي هريرة(٢) ولفظه: (من دعا إلى هدى... ثم قال: من دعا إلى ضلالة(٣)).

=ابتدع صلاة أو تسبيحاً أو صدقة أو نحو ذلك مما لم يُشرع فذلك داخل في الحسنة ـ زعموا ـ.

ولا شك أن ذلك قلب للحقائق، لأنه لو كان الأمر كذلك لما فرق الرسول ﷺ بين النوعين هذا أمر.

والأمر الآخر: أن السنة الحسنة لا يمكن أن تكون حسنة إلا إذا أقرها الشرع، فإذا أقرها الشرع دلَّ على أن ذلك مشروع.

(١) في [صحيحه: ١٠١٧].

(٢) انظر [صحيح مسلم: ٢٦٧٤]، ولفظه: **(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً).**

(٣) قوله: **(ومن دعا إلى هدى...)**: فيه فضل الدعوة إلى الله ﷻ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الأجر يحصل لمن فعل ذلك، ويحصل له أجور كل من اقتدى به، وسار على منهجه إلى يوم القيامة. =

=والله ﷻ يقول في بيان فضل الداعية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: ٣٣]. والدعوة هي سنة المصطفى ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

كما يتضمن الحديث التحذير من الدعوة إلى الضلال والبدع والمحدثات وعبادة القبور والأضرحة، والدعوة إلى التجديد في الدين ـ كما هو حاصل الآن ـ والترغيب في البدع والمعاصي، فهذا عليه إثمه وإثم من اقتدى به وسلك منهجه إلى يوم القيامة.

وهذا فيه تحذير من دعاة الضلالة، ويدخل فيه الدعاة إلى البدع؛ لأن كل بدعة ضلالة كما قال الرسول ﷺ.

* * *

باب ما جاء أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة[1] ....

---

[1] هذا كما سبق في بيان الوجوه التي تكون البدعة فيها شرٌ من الكبيرة، وهو أن صاحب البدعة لا يوفق للتوبة ويصر على بدعته ـ وهذا هو الغالب ـ بخلاف صاحب المعصية فإنه يعرف أنه مخطئ ومخالف، فسرعان ما يتوب لأنه يخاف من الله ويخشى من العقوبة.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قول سفيان الثوري رحمه الله: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، فإن المعصية يُتاب منها والبدعة لا يتاب منها) ثم فسره بقوله: (أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسناً، فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً؛ لأن أول التوبة العلمُ بأن فعله سيئ ليتوب منه، أو بأنه ترك حسناً مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله. فما دام يرى فعله حسناً وهو سيئ في نفس الأمر فإنه لا يتوب) [مجموع الفتاوى: ١٠/ ٩].

وليس المقصود من هذا التبويب ـ الذي هو حديث في أصله كما سيأتي بيانه ـ أن صاحب البدعة لو تاب أن الله لا يتوب عليه، بل إن الله يتوب على المشرك، ومن هو أعظم إثماً من صاحب البدعة، ولكن المراد باحتجاز التوبة أن الله تعالى لا يوفقه إليها، وذلك لأسباب منها:

أ) ما ظهر من مقتضى النصوص: (**يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون**) فبيَّن هذا الحديث أنهم لا يرجعون عن=

=بدعتهم إلى السنة، أي لا يوفقون إلى توبة كما ذكر الإمام أحمد ابن حنبل.

ب) ما ظهر من مقتضى الواقع: فإنه يندر أن تجد صاحب بدعة يتوب وخاصة دعاة البدع، ورؤوسهم، وأما الأتباع والهمج فهؤلاء ليس لهم حكم؛ لأنهم لم تؤصل في نفوسهم البدعة، وتكون فطرهم قابلة للحق متى ما استمعوا للحق رجعوا إليه. ولذا لم نسمع في تاريخ أهل البدع والأهواء من رجوع رؤوس البدع إلى الحق إلا عدداً لا يتجاوز العشرات ـ إذا بالغنا في التمحيص ـ وذلك مثل الأشعري، والجويني، والرازي وأبو حامد الغزالي، فهؤلاء من كبار أئمة أهل الكلام ومن المؤصلين للبدع، ولهم من العلم والفقه ما كان سبباً لتوبتهم، ولعل الله تعالى علم صلاح نياتهم، وتعظيمهم للعلم الشرعي فوفقهم إلى التوبة، وقد بيَّن شيخ الإسلام رحمه الله إمكانية ذلك بقوله: (ولكن التوبة منه ـ المبتدع ـ ممكنة وواقعة، بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق، كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال، وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه.

فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد: ١٧]. وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعاً لهواه، فإن ذلك يورثه الجهل والضلال=

هذا مرويٌّ من حديث أنس[١]، ومن مراسيل الحسن[٢]، وذكر ابن وضاح[٣] عن أيوب قال: كان عندنا رجل يرى رأياً فتركه، فأتيت محمد بن سيرين فقلت: أشَعَرت أن فلاناً ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا يتحول، إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله: (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه[٤])....................

=حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥] [التحفة العراقية في الأعمال القلبية ص ٢٩٧ ـ ٢٩٩].

[١] أي الحديث: (إن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة) رواه أنس ﷺ. وقال الألباني: إسناده صحيح. [السلسلة الصحيحة: ١٦٢٠]. ولفظه في [السلسلة الصحيحة]: **(إن الله احتجز التوبة عن صاحب كل بدعة).**

[٢] أي الحسن البصري، والرواية في كتاب (البدع والنهي عنها) لابن وضاح ص ٦٢، بلفظ: (أبى الله لصاحب بدعة بتوبة).

[٣] في كتابه (البدع والنهي عنها) برقم ١٤٧، وإسناده صحيح.

[٤] هذه القصة التي أوردها ابن وضاح في كتابه تدل على أن المبتدع لا يتوب وأنه لا يترك البدعة إلى سنة، بل إلى بدعة أخرى، ولذلك قال=

وسئل أحمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: (لا يوفق للتوبة)(١).

=ابن سيرين: (انظر إلى ماذا يتحول) وهذا من فقه ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ إذ لم يتوقع منه أنه تاب من البدعة، بل توقع أنه خرج من البدعة إلى بدعة أشد منها، واستشهد لذلك بقوله ﷺ: (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه)، وهذا من دلائل نبوته ﷺ عندما ذكر هذا الحديث في الخوارج، فوقع ما أخبر به.

(١) قوله: **(وسئل أحمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: (لا يوفق للتوبة)**:
وذلك لأن التوبة هي الرجوع عن البدعة، فهؤلاء لا يرجعون.
وهذا الأثر أورده محمد السفاريني في اغذاء الألباب لشرح منظومة الاداب ٢/٤٨٣ بلفظ: (سئل - الإمام أحمد - عن ما روي عن النبي ﷺ: **(إن الله احتجر التوبة عن كل صاحب بدعة)** وحجر التوبة أيش معناه؟ قال أحمد: لا يُوفق ولا ييسر صاحب بدعة).

* * *

باب قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾

قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾ [آل عمران: ٦٥] ـ إلى قوله ـ ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(١) [آل عمران: ٦٧].

---

(١) في هذه الآيات ينكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل ﷺ، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم، كما روى محمد بن إسحاق بن يسار، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٦٥ ﴾ أي كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهودياً، وقد كان زمنه قبل أن يُنزل الله التوراة على موسى؟ وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانياً، وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر؟ ولهذا قال: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ =

=﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ﴾ ...الآية. هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ : أي متحنفاً عن الشرك، قاصداً إلى الإيمان. مسلماً موحداً؛ لأن الإسلام هو التوحيد، وهو دين جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام وإن اختلفت شرائعهم. فالإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه في كل وقت بحسبه، فالذين آمنوا بالتوراة وعملوا بها في وقتها مسلمون والذين آمنوا بالإنجيل وعملوا به في وقته مسلمون، والذين آمنوا بالقرآن وعملوا به مسلمون.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: تبرئة لإبراهيم عليه السلام أن يكون على دين الشرك الذي عليه اليهود والنصارى وذلك لأنهم حرفوا التوراة والإنجيل، وأشركوا بالله، وعندهم كفريات ليست من دين إبراهيم عليه السلام ولا من دين موسى عليه السلام، ولا من دين عيسى عليه السلام، ولا من دين جميع الأنبياء عليهم السلام، وإنما هم الذين ابتدعوها ونسبوها إلى أنبياء الله. لذا فقد=

وقوله: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾(١) [البقرة: ١٣٠].....

=برَّأ الله ﷻ إبراهيم من الشرك الذي عليه هؤلاء وأن العبرة ليست بالانتساب ولكن بالاتباع. لذا قال بعد هذه الآية: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٨]، [المصباح المنير ص ١٧٧، ١٧٨ ـ شرح فضل الإسلام للشيخ صالح الفوزان].

(١) وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ ﴾.

يقول تبارك وتعالى رداً على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله المخالف لملة إبراهيم الخليل إمام الحنفاء فإنه جرَّد توحيد ربه تبارك وتعالى فلم يدعُ معه غيره، ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه وخالف في ذلك سائر قومه، حتى تبرأ من أبيه، فقال: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٨ ـ ٧٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧]، [المصباح المنير ص ٨٥]. =

وفيه حديث الخوارج، وقد تقدم(١) ....

=ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: عن طريقته ومنهجه وملته، وهي التوحيد والإخلاص لله عز وجل ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ والسفه: الخِفة، أي أنه سفيه في نفسه، وهو يزعم أنه عاقل حكيم مدركٌ للأمور فالذي يترك ملة إبراهيم عليه السلام هو السفيه. [شرح فضل الإسلام للشيخ صالح الفوزان].

ثم قال: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أي اخترنا إبراهيم عليه السلام في الدنيا للهداية والرشاد من حداثة سنه إلى أن اتخذه الله خليلاً، وهو في الآخرة من الصالحين السعداء. [المصباح المنير ص ٨٥].

وقد أورد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذه الآيات هنا ليبين أن من خصائص الإسلام أنه هو المهيمن، وأنه هو الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام وأنه وصية إبراهيم عليه السلام، وأن من رغب عنه فقد وقع في السفه، وأن من فضل الإسلام أنه جمع خصائص ملة إبراهيم عليه السلام، ومن ضمنها الديانات التي جاءت بعده، وأنه جاء عاماً لجميع البشرية.

(١) يقصد حديث: **(يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه)** والمراد بيان أن هؤلاء ـ الخوارج ـ بالرغم من كثرة عبادتهم إلا أن ذلك لم ينفعهم، لأنه لا ينفع المرء إلا متابعة السنة، وطريقة الرسول=

وفي [الصحيح][1] أنه ﷺ قال: (إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي المتقون)[2] ....

= ﷺ وأصحابه في العقيدة والعمل، كما لم ينفع اليهود والنصارى انتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام، فالعبرة ليست بالانتساب، ولكن بالاتباع فقد كان منهج الخوارج الباطل سبباً في خروجهم من الإسلام لما استغنوا عن متابعة الكتاب والسنة، واستندوا على عقولهم وآرائهم الفاسدة.

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والحديث موجود في صحيح البخاري: ٥٦٤٤، صحيح مسلم: ٢٠١٥ ولكن في آخره: **(إنما وليي الله وصالح المؤمنين)**.

(٢) قوله ﷺ: **(إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء...)**: فقوله: **(بأولياء)** من الوَلاية: وهي المحبة. وأما الوِلاية ـ بالكسر ـ: الملك والسلطة، فالرسول ﷺ يتبرأ ممن ليس على دين التوحيد، ولو كانوا من أقاربه في النسب كأبي لهب عم الرسول ﷺ، ويحب المتقين ولو لم يكونوا من أقاربه في النسب كسلمان الفارسي، وبلال بن رباح، وصهيب الرومي فقد كانوا موالي ومع ذلك صاروا من أقرب الناس وأحبهم إلى الرسول ﷺ.

إذاً ليست المسالة مسألة قرابة، ولا شرف للإنسان بقرابته من الرسول ﷺ بدون الدين، وأما إذا كان على دين الرسول ﷺ وقريباً له فقد اجتمع=

وفيه أيضاً(١) عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ ذُكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، فقال ﷺ: (لكنني أقوم وأنام أصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني)(٢)....................

=له شرفان: شرف الدين، وشرف القرابة.

وفي قوله ﷺ: **(إنما أوليائي المتقون)**: إشارة إلى أنه من كمال الإسلام أنه يشتمل على صلاح القلوب، وصلاح الأعمال، فالإنسان لا ينال وَلاية الله بالدعوى، وإنما ينالها بالتقوى والعمل الصالح.

(١) صحيح البخاري: ٤٧٧٦، صحيح مسلم: ١٤٠١.

(٢) هذا الحديث يتضمن عدة فوائد منها:

أ) التحذير من الغلو في العبادة، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك في أحاديث عدة من ذلك قوله: **(إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)** إسناده صحيح. امسند الإمام أحمد: ١٨٥١ا، فالوسطية في العبادة تعين المرء على المداومة والاستمرار، وأما إذا اشتد فيها فإنه يمل ويتركها، والقدوة الحسنة في العبادات هو رسولنا محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ =

=ٱلۡأٓخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فلا يجوز العدول عن طريقة الرسول ﷺ.

ب) أن حسن نية المبتدع لا يُجَوِّز بدعته، فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم لم يرد على أذهانهم مسألة الابتداع وإنما الذي ورد على أذهانهم صريحاً من خلال القصة أنهم أرادوا أن يعبدوا الله تعالى على أصول موجودة في الدين، لكن على غير ما أمر به الشرع تفصيلاً، ومع ذلك نهاهم الرسول ﷺ وشدد عليهم بقوله: **(من رغب عن سنتي فليس مني)**.

ج) في هذه القصة دلالة على أن الدين يجب أن يؤخذ جملة وتفصيلاً، فلا يتعبد الله بصيام أو صلاة على غير وجه شرعي.

ولا يتحقق الاتباع للرسول ﷺ إلا إذا كان العمل موافقاً للشرع في ستة أمور:

الأول: السبب: فإذا تعبد بعبادة بسبب غير شرعي، فهي بدعة مثل: إحياء ليلة الإسراء والمعراج.

الثاني: الجنس: فإذا تعبد العبد لله بعبادة لم يشرع جنسها، فهي غير مقبولة مثل: الأضحية بفرس.

الثالث: القدر: فلو زاد العبد في صلاته ركعة، فعمله مردود، وكذا الزيادة في الأذكار الشرعية، فلا بد من الوقوف على القدر المأمور به والتعبد به.

الرابع: الكيفية: فلو نكَّس إنسان في وضوئه، لم يقبل منه.

الخامس: الزمان: فلو ضحى المرء في شهر رجب، أو صام رمضان في=

فتأمل إذا كان بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسُمِّي فعله رُغوباً عن السنة، فما ظنك بغير هذا من البدع، وما ظنك بغير الصحابة؟(١).

=شهر شوال، لم يقبل منه.

السادس: المكان: بأن يقف في منى بدلاً من عرفة، فلا يقبل منه.

(١) قوله: **(فتأمل إذا كان بعض الصحابة.... وما ظنك بغير الصحابة؟)**:

أي إذا كان هؤلاء الصحابة ﵃ ـ وهم خير القرون ـ لما همُّوا بهذه الهمَّة أنكر عليهم النبي ﷺ وغلَّظ عليهم وهم صحابة، فكيف بغيرهم من متأخري القرون الذين تجاوزوا الحدود في الغلو والتطرف، أو في التساهل والميوعة، فالدين هو الاعتدال والوسط، ودين الله جل وعلا وسط واعتدال وصراط مستقيم، ليس فيه مشقة على النفوس، ولا تساهل وضياع، وإنما دين سمح، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]، وهذه ملة نبينا محمد ﷺ في كل زمان ومكان، فلا يبقى الإنسان على الدين إلا بالاتباع، لأن من تساهل خرج عن الدين، ومن تشدد خرج عن الدين، ولا يثبت إلا إذا كان على الوسطية والاعتدال.

* * *

باب قول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾

قول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾(١) [الروم: ٣٠].......................................

---

(١) يظهر أن الإمام عقد هذا الباب ليبين أن فضل الإسلام لا يكون إلا لمن وجَّه قلبه لله تعالى، ووحَّدَ قصده إليه وثبت على ذلك حتى يتوفاه الله ﷻ.

ـ قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾: أي أخلص عملك؛ لأن إقامة الوجه وإسلام الوجه معناه: إخلاص العمل لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [البقرة: ١١٢]، فمعنى: ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾: أي أخلص عمله من الشرك. ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾: متبع للرسول ﷺ قد خلَّص عمله من البدع والمحدثات، فإذا اجتمع هذان الشرطان:

أ) الإخلاص لله في العمل.

ب) والاتباع للرسول ﷺ.

قُبل هذا العمل.

ـ وقوله تعالى: ﴿ لِلدِّينِ ﴾: أي الدين الذي أمرك الله به وهو عبادة الله ﷻ=

=حده لا شريك له.

والدين هو التوحيد، والعمل، والصلاة، والصيام، وجميع ما شرعه الله من العبادات فهذا هو الدين.

ـ وقوله: ﴿ حَنِيفًاۚ ﴾: الحنيف المقبل على الله المعرض عما سواه.

ـ وقوله: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴾: أي أن الله جل وعلا فطر الناس على معرفته والإيمان به.

وقد حكى الحافظ ابن عبد البر أن المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل أن المراد بالفطرة في هذه الآية هي الإسلام. [الاستذكار لابن عبد البر ٨/٣٨٠].

فالدين الحنيف هو الإسلام الذي فُطر عليه الخلائق، فلو خُلي بين العبد وبين نفسه، وهو لم تتغير فطرته، فإنه ينصرف إلى الإسلام ويكون قابلاً له، مقراً بربوبية الله ﷻ، ومؤمناً به، ما لم يعترضه عارض يمنعه من الاستقامة على هذه الفطرة التي خلقه الله جل وعلا عليها، مثل عارض تربية الوالدين له على المجوسية أو النصرانية أو اليهودية كما سيأتي.

ـ ثم قال: ﴿ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ﴾: لا أحد يخلق إنسان على الشرك أبداً بل الله ﷻ خلقه على التوحيد، وليس لأحد أن يغير الخلق، بل يغير المخلوق، ولهذا جاء في الحديث: (فأبواه يهودانه، أو ينصرانه....كما تولد الشاة بهيمة جمعاء، هل تحس فيها من جدعاء؟) أي كالشاة الكاملة التي=

=تولد كاملة الخلقة، ثم أهلها يجدعونها، فيكسرون قرنها أو يشقون أذنها، فيغيرونها بعد الخلق، فهم يغيرون المخلوق فقط.

ـ ثم قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: ذلك الذي أوحاه الله إليك وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، هو الدين القيم المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

ـ ثم قال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي أن أكثر الناس يجهلون هذا الدين، ولذلك وقعوا فيما وقعوا فيه من الإخلال بالدين والانحراف عنه وإلا فالدين قيم مستقيم، فإن حصل فيه انحراف فهو من تصرف الناس.

وقوله: ﴿أَكْثَرَ﴾: يدل على أنه لا يحتج بالكثرة إن كانوا على خطأ، وإنما يُحتج بمن كان على الحق وإن كان واحداً.

وهذا ما ذهب إليه ابن مسعود رضي الله عنه عندما سئل عن الجماعة؟ قال: الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك). [شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/١٠٩].

وقال الإمام السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]: (ودلت هذه الآية على أنه لا يستدل على الحق بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور لأن يكون غير حق. بل الواقع بخلاف ذلك؛ فإن أهل الحق هم الأقلون=

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾(1) [البقرة: ١٣٢]....................

=عدداً، الأعظمون ـ عند الله ـ قدراً وأجراً. بل الواجب أن يُستدل على الحق والباطل بالطرق الموصلة إليه) [تفسير السعدي: ٢/٤٦٢، ٤٦٣].

(١) وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾: التوصية معناها: أن الموصي عند موته يوصي ذريته، أو من حوله بتقوى الله بعد موته.

فالوصية في الأموال عند الفقهاء: الإذن بالتصرف فيها بعد الموت.

والوصية في الدين: الحث على التمسك بالدين.

فهنا وصى إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء بنيه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وكذا يعقوب عليه السلام أبو بني إسرائيل وصى ذريته بكلمة التوحيد، وإخلاص العبادة لله عز وجل، والدين الحق.

وهكذا يجب على الوالد أن يربي أولاده على طاعة الله، وأن يوصيهم بالثبات على هذا الدين، والبقاء على التوحيد وهذا من حرص الأبوين الكريمين ـ إبراهيم ويعقوب عليهما السلام ـ على ذريتهما.

ـ وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: أي اختار لكم التوحيد، لأنهم أولاد الأنبياء، فهم أولى بالتمسك بهذا الدين والحذر مما يخالفه من الشرك والبدع، لأن الإنسان عرضة للانحراف طالما هو على قيد الحياة. =

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾(١) [النحل: ١٢٣]..................................

= ـ وقوله: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾: نهاهم أن يموتوا على غير الإسلام، بل يموتون وهم مستمسكون، بالدين ومسلمون لله بالتوحيد.

وفي هذا دليل على:

أ) أن الفضل ـ فضل الإسلام ـ لا يناله العبد إلا إذا عمل بالإسلام ثم مات عليه، فمن عمل بالإسلام ثم مات على غيره لم ينل فضل الإسلام، وكذا من كان مسلماً خالص الدين لله تعالى، ثم فعل بعد ذلك من القوادح التي تقدح في دين الإسلام ومات عليها، فإنه لا ينال فضل الإسلام كاملاً.

ب) أن العبرة بالخواتيم، والإنسان بحسب ما يختم له من خير أو شر، وقد جاء في الحديث: **(إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)** متفق عليه. [صحيح البخاري: ٣٢٠٨، صحيح مسلم: ٢٦٤٣] فالإنسان يَسأل الله تعالى حسن الخاتمة، ويعمل بالأسباب التي تكون سبباً فيها، ويبتعد عن الأعمال التي تكون سبباً في سوء الخاتمة.

(١) قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ ﴾ هذا الأمر=

وعن ابن مسعود ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (إن لكل نبي ولاة من النبيين، وأنا وليي منهم أبي إبراهيم، وخليل ربي)(١)..........

=مرتبٌ على الآيتين السابقتين، فالآية الأولى فيها أمر الله جل وعلا بإخلاص الدين لله ﷻ، والآية الثانية فيها وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام لأبنائهما بتوحيد الله، والموت عليه.

وهنا في هذه الآية من سورة النحل: أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يكون متبعاً لملة إبراهيم ﷺ. والأمر بالاتباع يقتضي اتباعه عليه الصلاة والسلام لملة إبراهيم ﷺ طيلة حياته حتى يتوفاه الله. وهذا الأمر له ﷺ وأمته تبعٌ له؛ بأن يستقيموا على هذه الملة الحنيفية ويثبتوا عليها حتى الممات.

(١) هذا الحديث فيه الخبر بأن لكل نبي ولاة: يعني أحباء من النبيين، فالأنبياء يتولى بعضهم بعضاً بالمحبة والاقتداء والاتباع، فهم سلسلة واحدة من أولهم إلى آخرهم، يبشر أولهم بآخرهم، ويقتدي آخرهم بأولهم ويتبع بعضهم بعضاً. وأولى الناس بإبراهيم ﷺ هو نبينا محمد ﷺ، ولهذا قال: **(وأنا وليي منهم أبي إبراهيم وخليل ربي)**.

فقوله: **(أبي إبراهيم)**: لأن إبراهيم ﷺ هو أبو الأنبياء. فجميع الأنبياء الذين جاءوا بعده هم من ذريته، وإبراهيم هو أبو إسماعيل ﷺ =

ثم قرأ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾(١) [آل عمران: ٦٨]. رواه الترمذي(٢) ....

=والذي هو أبو العرب. ولذا أجمع العلماء على أن إبراهيم ﷺ هو أبو محمد ﷺ؛ لأن محمداً من ذرية إسماعيل بن إبراهيم على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

وقوله: (خليل ربي): هذا وصف لإبراهيم ﷺ، والخلة هي خالص المحبة، وهي لم تكن إلا لإبراهيم ﷺ ومحمد ﷺ.

(١) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾:

فيه رد على اليهود والنصارى عندما زعموا أنهم على دين إبراهيم ﷺ فبين الله ﷻ في هذه الآية أن أولى الناس بإبراهيم ﷺ وأقربهم إليه هم الذين اتبعوه من أمته، ﴿ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾: أي محمد ﷺ، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ ﴾: أي المؤمنون من أمة محمد ﷺ. ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: ينصرهم ويؤيدهم ويحبهم ويتولاهم وَلاَية نصر وتأييد، وحفظ وإعانة فهذه ولاية خاصة للمؤمنين. وهناك ولاية عامة لجميع الخلق بالرزق والملك والتدبير، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [الأنعام: ٦٢].

(٢) في صحيح سنن الترمذي: ٢٣٩٤، ليس فيه (أبي).

وعن أبي هريرة ﷺ[1] قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[2]..

---

(١) هذا الحديث أخرجه مسلم في [صحيحه: ٢٥٦٤]، بلفظ **(صوركم وأموالكم....)**.

(٢) في هذا الحديث بيان أن العبرة ليست بالمظاهر، فالله تعالى لا ينظر إلى الأجسام وجمالها، ولا إلى كثرة الأموال والثروات وإنما ينظر إلى شيئين:

أ) القلوب.

ب) والأعمال.

- فإذا كانت القلوب مخلصة لله ﷻ.

- والأعمال مستقيمة على شرع الله تعالى.

فهذا الذي ينظر الله تعالى إليه نظر اعتبار وقبول ورحمة

إذاً هذا الحديث يدل على أمرين مهمين:

الأول: أن النظر من الله تعالى متعلق بالقلوب ثم الأعمال، لأن الأعمال ثمرة الإيمان الذي هو في القلوب.

الثاني: أن العبد لا ينال فضل الإسلام إلا إذا كان قصده وعمله خالصاً لوجه الله تعالى، وهذا يوافق قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾.

ولهما[1] عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله: (أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلي رجال من أمتي حتى إذا أهويت لأناولهم احتجبوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)[2]..

---

(١) أي للبخاري في صحيحه: ٦٢٠٥، ومسلم في صحيحه: ٢٢٩٧، بنحوه.

(٢) قوله ﷺ: **(وأنا فرطكم على الحوض)**: الفَرَط هو الذي يسبق إلى الماء ليسقي قومه، فالنبي ﷺ يتقدم أصحابه ويكون سابقاً لهم على هذا الحوض. والحوض: هو حوض النبي ﷺ الذي جاء في وصفه أن عرضه وطوله مسافة شهر، وماءه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وكيزانه كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، ترد أمة محمد ﷺ عليه وهم عطاش من شدة الحر وطول المقام، فيأتون على الحوض فيسقيهم النبي ﷺ بيده، إلا من كان قد غَيَّر دينه فإنه يُصرف عن الحوض.
ثم قال: **(وليرفعن إليَّ رجال من أمتي حتى إذا أهويت لأناولهم احتجبوا دوني......)**: أي أن هؤلاء اقتطعوا من دونه، ونُزعوا دون أن يصلوا إلى النبي ﷺ.

فيقول النبي ﷺ: **(أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)**: وهذا فيه دليل على أن من ابتدع في دين الله وغيَّر فإنه لا يرد الحوض على=

=رسوله ﷺ، ولا يرده إلا أهل التوحيد لله، والاتباع للرسول ﷺ.

وهذا يتضمن التحذير من البدع والانحراف والتغيير في دين الله ﷻ، كما فيه الحث على التمسك بالدين الصحيح والثبات عليه، والصبر عليه حتى الموت، حتى يرد على النبي ﷺ ويشرب من حوضه.

وقد جاءت الروايات مختلفة في دفاع الرسول ﷺ عن المذادين عن الحوض، ففي هذه الرواية التي هنا قال: **(أصحابي)**، وفي رواية أخرى في [صحيح مسلم ٤/ ٢٢٩٤]: **(أي رب مني ومن أمتي)**. وقد وجد الرافضة مدخلاً من هذه الأحاديث ليكفروا به جُلّ الصحابة رضي الله عنهم، وأنهم قد ارتدوا وكفروا بعد وفاة الرسول ﷺ.

وقد جمع العلماء، ووفَّقُوا بين هذه الأحاديث في بيان من هم المذادون عن الحوض، بعدة أقوال ذكرها الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث، حيث قال:

(هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال:

أحدها: أن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل ـ كما سيأتي في الحديث التالي ـ فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

الثاني: أن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده، فيناديهم النبي=

= ﷺ، وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار، بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله ﷻ فيدخلهم الجنة بغير عذاب.

ولهذا يقول الحافظ أبو عمرو بن عبد البر: (كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء) قال: (وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، المعلنون بالكبائر). قال: (وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر) [شرح صحيح مسلم للنووي: ١/٥٣٣].

فائدة:

١ ـ جاء ذكر الحوض منفرداً في أحاديث عدة، من ذلك قوله ﷺ: **(إن حوضي لأبعد من أيلة من عدن، والذي نفسي بيده إني لأذود عنه الرجال، كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه) قالوا: يا رسول الله وتعرفنا؟ قال: نعم. تردون عليَّ غراً محجلين من آثار الوضوء، ليست لأحد غيركم)** [صحيح مسلم: ٢٤٨].

٢ ـ كما جاء ذكر الكوثر منفرداً في أحاديث أخرى، من ذلك ما رواه أنس=

=رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: (**بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه، أو طيبه مسك أذفر**) [صحيح البخاري: ٦٢١٠].

٣ ـ وجاء في بعض الأحاديث تفسير الكوثر بالحوض، كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: (**بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليَّ آنفاً سورة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾ [الكوثر: ١ ـ ٣] ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحْدَثَتْ بعدك**) [صحيح مسلم: ٤٠٠].

وهنا يرد إشكال وهو: هل الحوض هو الكوثر؟

وخاصة أن الحوض يذاد عنه بعض الناس، والكوثر وصف بأنه نهر في الجنة، ووصف أخرى بأنه الحوض، فإذا كان الحوض في الجنة كيف يُذاد عنه الناس؟ وقد وفق الحافظ ابن كثير بين هذه الأحاديث، بعد أن أورد بعض الأحاديث في إثبات الكوثر، وأنه نهر في الجنة، قال عن وجه الاتصال بينه وبين الحوض: (ومعنى ذلك أنه يشخب من الكوثر ميزابان=

ولهما(١) عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (وددت أنا قد رأينا إخواننا(٢) قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟.................

=إلى الحوض، والحوض في العرصات قبل الصراط؛ لأنه يختلج عنه ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط) [النهاية ٢/٣١].

ويشهد لهذا حديث الرسول ﷺ عندما سئل عن شراب الحوض فقال: **(أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل يَغُتّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب، والآخر من ورِق)** [صحيح مسلم: ٢٣٠١].

ويَغُتُّ فيه ميزابان: يدفقان فيه الماء دفقاً متتابعاً دائماً. [انظر كتاب الغريبين في القرآن والحديث للهروي ٤/١٣٦٠].

وأما سبب إطلاق الكوثر على الحوض ـ كما في الحديث الثالث ـ فقد ذكره الحافظ ابن حجر في [فتح الباري ١١/٤٦٧، ٤٦٦] فقال: (الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض الكوثر، لكونه يُمد منه).

(١) أي صحيح البخاري: ولم أقف عليه فيه، وصحيح مسلم: ٢٤٩.

(٢) قوله ﷺ: **(وددت أنا قد رأينا إخواننا)**: قال ذلك النبي ﷺ لما خرج إلى المقابر، وقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم =

قال: أنتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا بعد[1] ....

=لاحقون، ثم قال: **(وددت أنا قد رأينا إخواننا)**: أي يتمنى النبي ﷺ أنه رأى إخوانه المؤمنين الذين لم يأتوا بعد في الدنيا ـ كما سيظهر من سياق الحديث ـ.

[1] فيقول له الصحابة: **(أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي وإخواني الذين لم يأتوا بعد)**: وصف الصحبة خاصٌ بمن صحب النبي ﷺ وآمن به ومات على ذلك، وأما إخوانه: فهم من يأتي في آخر الزمان من أمته ويتبعه، مع ما بينهما من طول الزمان. فالصحابة لهم فضل الصحبة، وهؤلاء لهم فضل التمسك والاتباع، وهم لم يروا النبي ﷺ فكلٌ له فضيلة خاصة به.

قال العلماء: وهذا لا يقتضي تفضيل من يجيء بعد على أصحاب رسول الله؛ لأن هناك وصفان: وصف الصحبة لأصحابه ﷺ، ووصف الأخوة، وأصحابه متصفون بصفتين:

١ ـ صفة الأخوة، وهي أخوة الإسلام.

٢ ـ وصفة الصحبة للرسول ﷺ.

ومن جمع بين هاتين الصفتين فهو أعلى وأكمل مرتبة ممن كان له وصفٌ واحدٌ، وهو وصف الأخوة في الإسلام.

فدل ذلك على أن الصحابة ﵃ أفضل ممن جاء بعدهم، ولهذا يُستدل=

قالوا: فكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ قال: أرأيتم لو أن رجلاً له خيل غرٌّ محجلة بين ظهراني خيل دُهم بُهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى، قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء(١)، ....

=بهذا الحديث على فضل أصحاب النبي ﷺ.

وقد ذكر الله ﷻ هؤلاء الذين لم يأتوا بعد فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

فوصفهم سبحانه بأنهم جاءوا بعد الصحابة ﵃، ووصفوا الصحابة بأنهم إخوانهم في الدين والملة ويدعون لهم، ويترحمون عليهم ويستغفرون لهم، ويعترفون لهم بالسبق بالإيمان.

يقول الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ: (فأين الذين يطعنون في الصحابة ويسبونهم ويلعنونهم، ويزعمون أنهم من المسلمين، أين هم من هذه الآية، ومن هذا الحديث، وأين هم من الإسلام؟ وهم يسبون صحابة رسول الله ﷺ ويلعنونهم ويكفرونهم؟).

(١) **(قالوا: فكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ قال: أرأيتم لو أن رجلاً له خيل غرٌّ محجلة..... من الوضوء)** كيف يعرف النبي ﷺ الذين لم يأتوا بعد؟. =

وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادنَّ رجال يوم القيامة عن حوضي، كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً)(١) ....

=يعرفهم بآثار الوضوء، وهذا فيه دليلٌ على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة. وقيل: ليس من خصائص هذه الأمة، ولكن من خصائصها النور والضياء الذي يكون فيهم من آثار الوضوء، وإلا فالوضوء مشروع لجميع المؤمنين، ولكن اختصت هذه الأمة بالأثر الذي يكون على أطرافه.

وقد ضرب لهم الرسول ﷺ مثالاً بالخيل الغر المحجلة بين ظهراني خيل دهم بهم، هل يعرفها صاحبها أم لا.

فالغرة بياض في الوجه، والتحجيل: بياض في الأطراف (الأيدي والأرجل).

والخيل الدهم: جمع أدهم وهو الأسود، والبهم: التي لا يخالطها لون آخر بمعنى أنها سوداء خالصة.

فهذا مثالٌ واضح أراد به النبي ﷺ التمثيل على أنه يعرف أمته يوم القيامة وهو لم يرهم بالنور الذي يظهر في وجوههم وأطرافهم من آثار الوضوء.

(١) قوله ﷺ: **(ألا ليذادنَّ رجالٌ يوم القيامة عن حوضي كما يُذاد البعير الضال)**: أي أن البعير الضال إذا فرَّ من صاحبه، ثم أتى إلى مرعى رجل=

وللبخاري[١]**: (بينما أنا قائم إذا زمرة**[٢]**، ....**

=آخر له إبل فإنه يذود هذا البعير ويطرده، فكذلك هؤلاء يطردون عن حوض النبي ﷺ، فيقول النبي ﷺ: **(أناديهم ألا هلم)**: يعني أنه ينادي هؤلاء المطرودين أن أقبلوا.

فيقال: **(إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)**: يعني أنهم غيَّروا وبدلوا ما كانوا عليه من الاستقامة على الدين ونبذ البدع والمحدثات.

فأقول: **(سحقاً سحقاً)**: بعداً بعداً. أي يتبرأ منهم الرسول ﷺ يوم القيامة في موقف هم أحوج ما يكونوا إليه، لما أنهم عصوه في الدنيا أبعدهم الله عنه يوم القيامة، وحرمهم وفضحهم أمام الخلائق، فيالها من موعظة ما أبلغها وما أو جزها، ويا له من حث على اتباع الرسول ﷺ والتمسك بالسنة والصبر عليها، والثبات عليها، وإن عيَّروك وتنقصوك وسبوك فلا تلتفت إلى الخلق، ولكن التفت إلى الخالق ﷻ، فاصبر واثبت ما دمت على الحق.

والشاهد من هذا الحديث هو آخره، حيث دل على أن فضل الإسلام لا يناله إلا من استقام على الدين حتى توفاه الله ﷻ وهو كذلك غير مبدِّل، فمن بدَّل وأحدث في الدين فلا يناله فضل الإسلام.

(١) صحيح البخاري: ٦٢١٥ ولكن في أوله: **(بينا أنا نائم)**.

(٢) قوله ﷺ: **(بينما أنا قائم إذا زمرة)**: أي بينما الرسول ﷺ قائمٌ على=

حتى إذا عرفتهم وعرفوني خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى(١)، ثم إذا زمرة ـ فذكر مثله ـ قال: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَلِ النعم(٢)).........................

=حوضه في عرصات القيامة. **(إذا زمرة)** أي طائفة.

(١) قوله: **(حتى إذا عرفتهم وعرفوني)**: يعني أن النبي ﷺ يعرف هذه الزمرة والطائفة التي رءاها.

ـ **(خرج رجل من بيني وبينهم)**: قال العلماء: الذي يخرج من بين النبي ﷺ وبينهم ملك من الملائكة في صورة رجل **(فقال: هلم)** يعني أن الملك يناديهم بقوله: هلم. فيقول النبي ﷺ: **(أين؟)**: أي أين تذهب بهم؟ فيقول الملك: **(إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري)**: يعني أنهم رجعوا إلى الخلف بعد وفاة النبي ﷺ. وقد استدل بعض أهل العلم بقوله: **(إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري)**: على أن هذا في أصحاب الردة الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ ممن كان يعرفهم النبي ﷺ.

(٢) قوله: **(ثم إذا زمرة ـ فذكر مثله ـ)**: يعني زمرة كسابقتها عرفهم الرسول ﷺ وعرفوه فيخرج رجل: أي من الملائكة في صورة رجل.... الخ =

= ـ كما تقدم ـ.

ـ ثم قال: **(فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)**: همل النعم هي الإبل التي لا يكون لها راع، بل هي إبل مهملة، والمعنى: فلا أظن أن يرد على الحوض إلا مثل همل النعم من هذه الزمرة، يعني أنهم عدد قليل؛ لأن الإبل المهملة بالنسبة إلى المرعية قليلة جداً، فكذلك الذين يردون على الحوض، ويخلصون من النار من هذه الزمرة إنما هم عدد قليل كهمل النعم. فهذا الحديث يدل على أن من ارتد أو أحدث أو بدل بعد ما كان مستقيماً فإنه لا يناله فضل الإسلام؛ لأنه حينئذ يكون من أهل النار، والعياذ بالله. والله ﷻ وعد أهل الإسلام بفضل عظيم.

يقول الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ في تعليقه على هذا الحديث محذراً: (وهذا فيه أنه من ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام أنه سيلقى هذا المصير، إلا إذا تاب إلى الله قبل الموت، وهذا يؤكد على الإنسان أن يعرف نواقض الإسلام ويتجنبها، لئلا يكون مع هؤلاء يوم القيامة. قد يعيش الإنسان مرتداً وهو يزعم أنه مسلم، لماذا؟.

لأنه يعيش على ناقض من نواقض الإسلام، ونواقض الإسلام، وأسباب الردة كثيرة يجب العناية بها ومعرفتها وسؤال الله الثبات على الدين، فلا يكفي مجرد الانتساب، أو يكون الإنسان إمعة مع الناس، أساءوا أو أحسنوا، بل لا بد أن يعرف الحق ليعمل به، ويسأل الله الثبات. =

ولهما[1] في حديث ابن عباس ﭬ: (فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[2] [المائدة: ١١٧]......................

=فهذا فيه أن من ارتد عن دين الإسلام فهو من أهل النار، ولو كان في أول أمره من هذه الأمة. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فيجب علينا معرفة أنواع الردة، ونواقض الإسلام حتى نتجنبها، أكثر الناس هَمَل لا يدرون ما هي النواقض ويقعون فيها وهم لا يعلمون بسبب الجهل الذي لا يعذرون به؛ لأنه لا يعذر بالجهل من كان يعيش بين العلماء، وفي بلاد الإسلام، لأنه بإمكانه أن يسأل ويتعلم، فالحريص يتعلم، وأما الذي لا يبالي فإنه لا يهتم بالعلم ولا بالتعلم ويكتفي بمسمى الإسلام فقط ويجاري الناس على ما هم عليه، ثم يوم القيامة يصبح مع الخاسرين). اهـ.

(١) أي البخاري في صحيحه: ٤٦٢٥، ومسلم في صحيحه: ٢٨٦٠.

(٢) قوله: **(فأقول كما قال العبد الصالح ...)**: أي أن الرسول ﷺ عند رؤيته هذا المشهد الهائل، حينما يساقون إلى النار من عنده، يقول كما قال العبد=

ولهما[1] مرفوعاً: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها) ثم قرأ أبو هريرة ﷺ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[2] [الروم: ٣٠]، متفق عليه.......

=الصالح، وهو عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ وهذا استسلام لحكم الله عز وجل؛ لأن النبي ﷺ كان يعلمهم مؤمنين مستقيمين، لكن بعد وفاته لا يشهد لهم بشيء، وإنما شهد لهم بما علم من أمرهم في أثناء حياته فلما توفي ﷺ كان الله تعالى هو الرقيب عليهم وحده لا شريك له، فلهذا استسلم النبي ﷺ لحكم الله، كما استسلم قبله نبي الله عيسى عليه السلام.

(١) أي البخاري في صحيحه: ١٢٩٣، ومسلم في صحيحه: ٢٦٥٨.

(٢) قوله ﷺ: **(ما من مولود يولد إلا على الفطرة...)**: هذا الحديث يفسر الآية التي في أول الباب، وهي قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾، فالناس فطروا على الإسلام والتوحيد فلو أنهم سلموا من دعاة الضلال لبقيت فطرتهم قابلة للحق، ولاتبعوا الرسل. ففطرتهم صالحة مثل التربة الطيبة الصالحة للنبات، ولكن إذا=

وعن حذيفة ﷺ قال: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وأنا أسأله عن الشر مخافة أن يُدركني(١) ....

=غيرت بالسبخ والماء فسدت، وصارت لا تنبت، وكذلك الإنسان إذا غيرت فطرته لا تقبل الخير لأنها غيرت وانحرفت؛ لهذا قال: **(فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)**: يعني أبواه يصرفانه إلى اليهودية أو النصرانية أو المجوسية، ولم يقل: (أو يسلمانه) لأن الفطرة هي الإسلام، وهو مولود على فطرة الإسلام. ففي هذا الحديث إشارة إلى السبب الذي يغير الفطرة والذي يكون في العادة الأبوين أو أحدهما.

ثم ضرب مثلاً بالشاة التي جدعت قرنها أو أذنها فقال: **(كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها)**: يعني أن البهيمة تلد بهيمة (جمعاء) أي كاملة الخِلقة، سوية ليس فيها جدع، وهو قطع الأذن أو القرن، حتى يكون أهلها هم الذين يجدعونها، كذلك المولود يولد على الفطرة كاملاً، فإن غيرت الفطرة فهذا من تصرف المربين الذين يحرفون الفطرة ويغيرونها.

ثم قرأ أبو هريرة ﷺ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ وهذا دليلٌ على أن الفطرة هي الإسلام.

(١) قول حذيفة ﷺ: **(كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وأنا=**

=**أسأله عن الشر مخافة أن يدركني)**: يرشدنا حذيفة ﷺ إلى ضرورة معرفة الشر، وعدم الاقتصار على تعلم الخير والصلاح فقط، وذلك لأن الاقتصار على تعلم الخير وعدم معرفة ما يضاده من الشر يعرض الإنسان للوقوع فيه، وقد قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ❖ ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

وهذا بخلاف ما ينادي به اليوم كثير من الجهال أو المضللين الذين يقولون: علّموا الناس التوحيد والصلاة وأعمال الخير، ولكن لماذا تعلموهم نواقض الإسلام والشرك وعقائد الجهمية والمعتزلة، ومن نحا نحوهم؟ لماذا لا تقتصرون على العقائد الصحيحة وتتركون العقائد الفاسدة؟

وهذا جهلٌ وتضليل؛ لأنه لا يكفي تعلم العقائد الصحيحة، بل لا بد أن نعرف أيضاً العقائد الفاسدة والباطلة من أجل أن نتجنبها، ونجنبها أولادنا وإخواننا، ولهذا نجد العلماء ردوا على الجهمية والمعتزلة والمخالفين، ولو أنهم سكتوا عن أهل الضلال ولم يردوا عليهم لراجت أفكارهم وشبهاتهم.

وهذا حذيفة ﷺ كان يسأل رسول الله ﷺ عن الشر، ولم ينهه عن ذلك، بل أَقَرَّه وبيَّن له. فلا بد للمسلمين أن يكونوا على استعداد لمقاومة الشر لئلا يروج، لأن له دعاة حريصين على رواجه، ويزينونه بزخرف=

فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. فقلت: وهل بعد هذا الشر من خير قال: نعم، وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، فتنة عمياء، ودعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها) قلت: يا رسول الله، صفهم لنا..قال: قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله ما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم... قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفِرَقَ كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك(١)) أخرجاه(٢) ....

=القول ويسمونه بأسماء مغرية، فلو لم تُعرف هذه الشبهات والدعوات الضالة، لأوشك أن يروج هذا على الناس، ولذهبت السنة، وراجت البدعة، وهذا هو الحكمة من تعلم الخير وما يضاده من الشر حتى تسلم منه، وهذا هو سبب سؤال حذيفة ﷺ عن الشر.

(١) قوله: **(إنا كنا في جاهلية وشر)**: يعني قبل الإسلام، من الكفر بالله=

=والقتل والنهب وإتيان الفواحش.

ـ **(فجاءنا الله بهذا الخير)**: يعني بالإسلام لما فيه من الأمن والإيمان والطمأنينة وكل خير.

ـ **(قال: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم)**: يعني أن بعد الخير الذي جاء وهو الإسلام سوف يعقبه شر.

ـ **(فقلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دَخَن)**: وذلك أن الشر إذا حدث، فإن له أثراً في تغيير أخلاق الناس، وسلوكهم وعقائدهم.

وقوله: **(فيه دَخَن)**: كناية عن عدم حصول الشيء على صوابه وما يُرجى، كما يرى الرائي من الصورة إذا حال الدخان بينه وبينها. [الذيل على النهاية في غريب الحديث والأثر. لعبد السلام بن علّوش، ص ١٦٤].

ـ **(قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر)**: يعني أنه يعقب ذلك الشر خير، ولكن هذا الخير ليس خيراً صافياً، لأن القلوب حصل لها فساد بسبب الشر الذي أعقب الخير الأول. ثم بيَّن النبي ﷺ دَخَنه بأنه: **(قوم يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر)**: أي تعرف بعض قولهم وفعلهم وأنه موافق للإسلام والسنة، وتنكر بعض ذلك لأنه مخالف للكتاب والسنة؛ لأن هذا الخير ليس صافياً كما هو الخير الأول، إذ هو=

=خير فيه دخن.

- **(قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، فتنة عمياء، ودعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)**: قوله **(فتنة عمياء)** هذه في رواية أبي داود في سننه: ٤٢٤٦ وليست في الصحيحين.

قال العلماء: سماها فتنة عمياء، إمّا لأن الناس يدخلون في هذه الفتنة على غير بصيرة، وإمّا لأن هذه الفتن إذا وقعت وأراد الناس النجاة منها فإنهم لا يجدون منها مخرجاً، كما أن الأعمى يتغلق عليه الخروج من بعض الأمكنة. فهؤلاء إذا وقعت هذه الفتنة فإنها تكون فتنة يصعب الخروج منها.

(ودعاة على أبواب جهنم): هذا باعتبار المآل؛ لأن هؤلاء الذين يدعون ليسوا واقفين الآن على أبواب جهنم ولكنهم يدعون، ومآل من أطاعهم أن يدخل النار **(من أجابهم إليها قذفوه فيها)**: أي قذفوه في النار لأنهم بلّغوه إياها ـ النار ـ بدعوتهم له، وهم لا يقولون له: تعال إلى جهنم، ولكن تعال إلى الجنة والخير، وإلى الجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، ونحو ذلك، وهم في الواقع دعاة إلى جهنم من أجابهم قذفوه فيها.

- **(قلت: يارسول الله، صفهم لنا، قال قوم من جلدتنا و يتكلمون بألسنتنا)**. =

=قال العلماء ـ رحمهم الله ـ: يعني أنهم من هذه الأمة سواء كانوا مسلمين ثم كفروا، أو أنهم على الإسلام، ولكن عندهم تبديل و تغيير وظاهر حالهم أنهم مثلنا، ولهذا قال: **(قوم من جلدتنا و يتكلمون بألسنتنا)** والذي يظهر من الإنسان هو جلدته، فظاهرهم أنهم منّا ويتكلمون بألسنتنا، أي باللغة العربية وهنا تعظم المصيبة، عندما يأتي الشر من أبناء المسلمين.

(قلت: يا رسول الله، ما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال عليه الصلاة والسلام: تلزم جماعة المسلمين و إمامهم): هذا سؤال عن سبيل النجاة، فأجابه النبي ﷺ: **(تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)**: وجماعة المسلمين هم الذين اجتمعوا على الإمام فيلزمهم و يلزم إمام المسلمين وإن كان جائراً ظالماً فاسقاً، ولا يلتفت إلى هذه الفتن ودعاتها، فإن كان هناك جماعات متعددة وهنا جماعة على الحق فكن مع الجماعة التي على الحق ولهذا قال ﷺ: **(وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)** [صحيح سنن الترمذي: ٢٦٤١].

فهذه هي الفرقة الناجية، وهي التي على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه. فلا يغتر أحد ببقية الفِرق.

ـ **(قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك=**

=الفِرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك): أي فإن كانوا متفرقين، ولم يجتمعوا، وليس لهم إمام قد بايعوه فماذا يفعل؟ قال: **(فاعتزل تلك الفرق كلها....)**: أي يعتزل هذه الجماعات التي ليس لها إمام، لأنه إذا وجدت جماعات بلا إمام فإنه غالباً يؤول الأمر بينهم إلى الشجار، وتقع بينهم حينئذ فتنة عمياء، ويقاتل الناس فيها تحت راية عمية، يعني يدخل في هذا القتال وهو لم يتبين له الحق مع أي الطائفتين، أو مع أي الجماعات.

- **(قال: فاعتزل تلك الفِرق كلها)**: يعني لا تنضم إلى واحدة منها؛ لأنهم ليس لهم إمام.

- **(قال: ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك)**: أي تعتزل هذه الفتن، وتصبر على الاعتزال، حتى ولو آل الاعتزال لأن تعض على أصل شجرة، لأنه لا يجد شيئاً من شدة الفتن.

وقال بعض العلماء: عض الشجرة كناية عن الاستمساك بالعزلة، وترك هذه الفرق كلها؛ لأنهم ليسوا مجتمعين على إمام.

(١) أي البخاري في صحيحه: ٧٠٨٤، ومسلم في صحيحه: ٤٧٦٢.

وزاد مسلم[1]: (ثم ماذا؟ قال: ثم يخرج الدجال معه نهر ونار، فمن وقع في ناره وجب أجره، وحُطَّ وزره، ومن وقع في نهره، وجب وزره وحُطَّ أجره. قلت: ثم ماذا؟ قال: هي قيامُ الساعة)[2]..................

---

(١) هذه الزيادة ليست في [صحيح مسلم] وإنما في [سنن أبي داود: ٤٢٤٤، وإسناده حسن].

(٢) **قوله: (ثم ماذا؟ قال: ثم يخرج الدجال معه نهر ونار...)**: من الفتن الشديدة التي تحصل في آخر الزمان وهي من علامات الساعة الكبرى خروج الدجال. وسمي الدجال من الدجل والكذب لكثرة كذبه، وهذا الرجل يظهر في اليهود، وهو الذي ينتظره اليهود ليخرج فيهم. معه فتنة عظيمة وهي صورة جنة، وصورة نار، فالنار التي معه هي الجنة، والجنة التي معه هي النار. وهذا دليلٌ على أن الإنسان لا يغتر بالزخرف، وفيه تحذير من الدعايات المضللة، وأن الإنسان لا يزهد في الحق، ولو أن الحق لُبِّس عليه، ووصف بالتأخر والرجعية والجمود فالحق هو الحق، والباطل هو الباطل، ولو وُصف بالتقدم والحضارة والرقي فهو باطل.

ولعظم فتنة الدجال كان الأنبياء كلهم يحذرون منه، وأشدهم تحذيراً نبينا محمد ﷺ، ولذلك أمرنا أن نستعيذ بالله من أربع في كل صلاة في التشهد الأخير، منها: (ومن فتنة المسيح الدجال)، كما رغبنا في حفظ عشر=

وقال أبو العالية[1]: (تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ....

=آيات من سورة الكهف فقال: **(من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف - وفي رواية من آخر سورة الكهف - عُصِم من الدجال)** [صحيح مسلم: ١٨٨٠، ١٨٨١] ويحصل للمسلمين فتنة عظيمة عند خروج الدجال فيهم في آخر الزمان حتى ينزل عيسى عليه السلام، فيقتله ويريح المسلمين منه ومن شره.

وقد أورد الإمام محمد بن عبد الوهاب هذا الحديث هنا ـ حديث حذيفة رضي الله عنه ـ ليبين أن فضل الإسلام لا يناله إلا أهله المستمسكين به حقاً، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستمساك به، كما حذر من الدعاة الذين يقفون على أبواب جهنم يدعون إليها، فمن استجاب لهم لم يكن من المقيمين وجوههم للدين سواء التابع أو المتبوع، كما بين فيه النبي صلى الله عليه وسلم طريق النجاة من الفتن وهو لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وذلك حتى يدرك فضل الإسلام، كما بيَّن أيضاً ما يحتاجون إليه إلى قيام الساعة.

(١) كلام أبي العالية ذكره اللالكائي في لشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٦٢] وفيه: **(ولا تحرفوا الإسلام يميناً ولا شمالاً. وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه..).**

ولا تتحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً وعليكم بسنة نبيكم، وإياكم وهذه الأهواء(١)). انتهى..

---

(١) هنا يوصي أبو العالية ـ وهو من أئمة التابعين ـ بأربع وصايا عظيمة:

الوصية الأولى: الأمر بتعلم الإسلام حيث قال: **(تعلموا الإسلام)**: أي اعرفوه، فلا يكفي أن تقول أنا مسلم حتى تعرف الإسلام ومعناه وأركانه ونواقضه، حتى تكون على بصيرة من دينك. وفي هذا الحث على تعلم العلم النافع، لأنه هو الحياة والنجاة بإذن الله.

الوصية الثانية: الثبات عليه، وعدم الرغبة عنه، حيث قال: **(فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه)** يعني إذا تعلمتم الإسلام، وعرفتموه فعليكم بالتمسك به، فلا يكفي أن يكون الإنسان عالماً، يجب عليه أن يكون عاملاً بعلمه وإلا كان العلم وبالاً عليه، فاليهود كانوا علماء أحبار ولكن ضَلوا وكفروا، فما يكفي مجرد العلم، بل لابد من التمسك بالحق والثبات عليه مع العلم، أي علم وعمل.

الوصية الثالثة: معرفة الصراط المستقيم، حيث قال: **(وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تتحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً)**:

والصراط المستقيم هو الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦]، وقوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا =

=﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فالصراط: هو الطريق. والمستقيم: هو المعتدل الذي ليس فيه انحراف أو ميل. فالله تعالى أمرنا أن نتبع هذا الصراط المستقيم، وأمرنا أن نسأله أن يهدينا إلى هذا الصراط، وأن يعرفنا به، ويثبتنا عليه.

ما هو الصراط؟ الصراط هو الإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ، ويراد بالصراط: القرآن، ويراد به: الرسول ﷺ، وكله صحيح.

فالواجب على المسلم إذا عرف الصراط أن يسير عليه، ويتمسك به، ولا يظن أنه سوف يسلم من الفتن والابتلاءات، فعليه بالصبر والثبات على الصراط، لأن هناك دعاة ضلالة يريدون أن يحرفوه عن الصراط المستقيم كما أخبر الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الوصية الرابعة: التحذير من الأهواء، حيث قال: **(وعليكم بسنة نبيكم وإياكم وهذه الأهواء)** وفي هذا الأمر بلزوم السنة وهي طريقة الرسول ﷺ، وما سار عليه هو وأصحابه في العقيدة والعمل، والحذر من مخالفته إلى ما أحدثه أهل الأهواء والبدع فإن كل بدعة ضلالة، وقد حذر الله ﷻ من مخالفته بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

كما فيه التحذير من موافقة هوى النفس المخالف للحق، وقد حذر الله ﷻ=

تأمل كلام أبي العالية هذا ما أجلّه، واعرف زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام(١)، ....

=من ذلك بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [القصص: ٥٠].

فعلى المسلم أن يتبع الحق سواء وافق هواه أو خالفه؟ لأن العاقبة الحميدة في اتباع الحق.

وهذا كلام عظيم من أبي العالية؛ لأنه مستمد من الكتاب والسنة.

(١) يقول الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ تعليقاً على كلام التابعي الجليل: **(تأمل كلام أبي العالية هذا ما أجله، واعرف زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام)**: يعني اعرف الزمان الذي حذر فيه أبو العالية من الأهواء، وهو كان في زمن التابعين من خير القرون، الذين قال فيهم ﷺ: **(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)** [صحيح البخاري: ٢٦٥٢، وصحيح مسلم: ٦٤١٩]، فكيف بالقرون التي جاءت بعد ذلك فإن البدع والأهواء والشبهات أكثر، والفتن فيها أعظم، مما يدل على أن الأزمنة التي جاءت بعد زمن التابعين أحق بالتحذير من الأهواء فيها، لأنها أشد وأعظم.

ـ وكذلك إذا كان أبو العالية يحذر من الأهواء في ذلك الزمان مع قوة إيمان=

وتفسير الإسلام بالسنة⁽¹⁾، وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السنة والكتاب، يتبين لك معنى قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ﴾ [البقرة:١٣١]، وقوله: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة:١٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾⁽²⁾ [البقرة:١٣٠]، ....

=أهله وصلابتهم في الحق، فأهل الأزمنة الذين جاءوا من بعدهم أحق بأن يحذروا من اتباع أهل الأهواء، وأن يخاف عليهم من عواقبها.

(١) وقوله: **(وتفسير الإسلام بالسنة)**: يعني واعرف تفسير الإسلام بالسنة فمن أسلم وجهه لله، ولكن لم ينقد للنبي ﷺ فهو ليس بمسلم، وقد فهم أبو العالية رحمه الله هذا المعنى، فكان يقول: (ما أدري أيّ النعمتين عليّ أعظم إذ أخرجني الله من الشرك إلى الإسلام، أو عصمني في الإسلام أن يكون لي فيه هوى) [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/١٤٧].

(٢) ثم قال: **(وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السنة والكتاب)**: يعني واعرف خوف أبي العالية على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج على السنة والكتاب، إذا عرفت هذه الأشياء ـ عرفت الزمن=

وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول والناس عنها في غفلة(١)، ....

=وعرفت تفسير الإسلام بالسنة، وعرفت خوف أبي العالية على أعلام التابعين، وتأملت كلام أبي العالية هذا ـ تبين لك معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾، وتبين لك أن كلام أبي العالية رحمه الله جمع بين الدعوة إلى الإسلام، والتحذير من مخالفته كما هو الأمر في هاتين الآيتين اللتين أوردهما الإمام.

وكذا يتبين معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾ من خلال كلام أبي العالية عندما قال: (فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه) فإن قوله هذا يوافق هذه الآية في التحذير من الرغبة عن ملة الإسلام.

(١) ثم قوله، **(وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول والناس عنها في غفلة)**: أي وأشباه هذه الأصول الكبار التي بينتها هذه الآيات، وجاءت في سياق أبي العالية رحمه الله والناس أكثرهم في غفلة، لا يقرأونها ولا يتعلمونها وإذا تعلموها قليلٌ من يعمل بها، وإذا عملوا بها قليلٌ من يثبت عليها، فالأمر يحتاج إلى استعانة بالله عز وجل، وإلى اهتمام بالأمر، فلا =

وبمعرفته يتبين معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها. وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهها وهو آمن مطمئن أنها لا تناله، ويظنها في قوم كانوا فبادوا: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾(١) [الأعراف: ٩٩]...

= يثق الإنسان من نفسه، أو يأمن من الفتنة، بل يخاف الفتن ويتجنبها، ولا يكون إمعة مع الناس، بل يكون مع الحق دائماً وأبداً، فإذا بلغه شيء فإنه يعرضه على الحق، فإن وافقه فالحمد لله، وإن خالفه تركه.

(١) ثم قال: **(وبمعرفته يتبين معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها. وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهها وهو آمن مطمئن أنها لا تناله، ويظنها في قوم كانوا فبادوا. ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾)**: يعني بمعرفة كلام أبي العالية تتبين معاني هذه الأحاديث التي في هذا الباب، فمن يقرأ هذه النصوص وأمثالها ويتفقه فيها، ويعمل بها فهو على طريق نجاة وسلامة.

وأما الذي يطلع على هذه النصوص التي تأمر بالاستمساك بالإسلام والسنة، وتحذر من البدع فلم يلتفت إليها، بل كان غافلاً عنها، يظن أن المخاطبين بها قوم آخرون كانوا فهلكوا وتوفاهم الله، ولا يظن أن نفسه=

وعن ابن مسعود ﵁ قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: (هذا سبيل الله ـ ثم خط خطوطاً عن يمينه، وعن شماله ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه⁽¹⁾، ....

=مخاطبة بها فإن هذا نوع من أنواع المكر من الله تعالى بهم، ويكون حينئذ مستدرجاً إلى البدع والضلالات من حيث لا يشعر. ومكر الله حق وعدل ولا يمكر إلا بمن يستحق.

(١) هذا الحديث يفسر قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: فسر هذه الآية بمثال محسوس، حيث خط خطاً مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله. فقال للمستقيم: هذا صراط الله، وقال للخطوط الأخرى: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو الناس إليها، ليخرج الناس من الصراط المستقيم إلى هذه السبل، هؤلاء هم دعاة الضلال، هم الذين من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، وهم الدعاة الذين على أبواب جهنم؛ لأن هذه السبل تؤدي إلى جهنم، فهذا الحديث فيه تحذير من دعاة الضلال.

وقد نص العلماء على أن هذا الحديث يتضمن أصلين:

أحدهما: تحقيق ما جاء به النبي ﷺ تحقيقاً كاملاً.

ثانيهما: ترك معارضة ما جاء به النبي ﷺ بالشبهات، إما برأيه=

=أو برواية ؛ لأن الرواية أحياناً يُشبَّه بها على النصوص المحكمة ، وذلك بأن الرواية إذا أردنا أن نستدل بها فلا بد أن نعرف ثبوتها ، وأن نعرف وجه دلالتها.

أ) فمن عارض الثابت عن النبي ﷺ بالأحاديث الضعاف والواهية فقد عارض هدي النبي ﷺ ، ولم يحقق: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ لأن الصراط المستقيم الذي يتبع هو الثابت عن النبي ﷺ.

ب) ومن عارضها بحديث صحيح أوَّله على غير التأويل الذي يوافق النصوص، أو أوَّل نصاً من كتاب وسنة يخالف المعروف عن سلف هذه الأمة ، وما تجتمع به النصوص فإنه يكون مشبهاً ، ومن هنا قال العلماء ــ رحمهم الله ــ: أما النصوص المشتبهة فإنها ترد إلى النصوص المحكمة فإذا اشتبهت علينا نصوص وكانت دلالتها غير ظاهرة وجب علينا أن نردها إلى المحكمة ؛ لأن المحكم هو الذي يجب العمل به ، وأما المتشابه فيرد إلى المحكم مع الإيمان بالله ﷻ ورسوله ﷺ ، وأن الله ورسوله لا يقولان إلا حقاً وصدقاً.

فهذا الحديث أورده المؤلف في كتاب (فضل الإسلام) ليبين أن فضل الإسلام إنما يتحقق للمتبعين لما جاء به النبي ﷺ ، الذي سلم اتباعه من أن يكونوا متلبسين بالشبهات والبدع ، فإذا حققوا ذلك دخلوا في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ﴾ وكانوا من المقيمين وجوههم للدين حنيفاً.

وقرأ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. رواه أحمد والنسائي(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند: ٤١٤٢، بإسناد حسن، ولم أجده في النسائي، ولكن أخرجه الدارمي في سننه في [المقدمة: ٢٠٨، بإسناد حسن].

* * *

باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء(١)

وقول الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾(٢) [هود: ١١٦]....

---

(١) تقدم في أول الكتاب أن فضل الإسلام يكون أحياناً باعتبار زمانه، وأحياناً باعتبار مكانه، وأحياناً باعتبار حاله. وقد عقد الإمام رحمه الله هذا الباب ليبين فضل الإسلام في زمان معين، أو مكان معين، أو حالة معينة؛ لأن فضل الإسلام يتفاوت بحسب الزمان والمكان والحال.

وغربة الإسلام نوعان:

أ) **غربة مطلقة**: وهذه تكون في آخر الزمان بعد خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وقتله الدجال، فيرسل الله بعد ذلك ريحاً تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة، فلا يبقى على ظهر الأرض من يقول الله الله، فعندئذ يكون الإسلام غريباً.

ب) **غربة مقيدة**: بزمان أو مكان أو شريعة من شرائع الإسلام، كما بيَّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لأنه لا غربة مطلقة إلا في آخر الزمان لأن النبي ﷺ قال: **(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)** [صحيح مسلم: ١٩٢٠].

(٢) وقول الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي فهلا كان من=

وعن أبي هريرة ﵁ مرفوعاً: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)(١) رواه مسلم(٢)................................

=القرون من قبلكم من الأمم الخالية ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾: أصحاب عقل ويعض العلماء يقول: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾: يراد به النفي أي ما كان من القرون من قبلكم من ينهي عن الفساد.

﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: ينهون الناس عن الفساد في الأرض ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ثم استثنى الله عز وجل قلة منهم فقال: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: هؤلاء القليل الذين ينهون نجاهم الله عز وجل وإذا كانوا قلة قليلة في فساد، فإنهم يكونون غرباء، وهذا وجه سياق المصنف لهذه الآية في باب غربة الإسلام.

وفي هذه الآية دليل أيضاً على أن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ينجو من عذاب الله، وأما الذي لا يأمر ولا ينهى فإنه يهلك ولو كان من الصالحين، ثم يبعثه الله على نيته، كما جاء في الحديث ـ يعني حديث أم سلمة مرفوعاً: (يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداءَ من الأرض، خُسف بهم. قلت: يا رسول الله فكيف بمن كان كارهاً؟ قال: يخسف به معهم، ولكنه يُبعث يوم القيامة على نيته) [صحيح مسلم: ٢٨٨٢].

(١) قوله ﷺ: **(بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)**: يعني بدأ=

=الإسلام غريباً لما بعث الله تعالى نبينا محمد ﷺ، وأُمِر بالنذارة فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ [المدثر: ١ ـ ٢]، قام وحده ﷺ ثم انضم إليه أبو بكر ﷺ، وبلال ﷺ ولهذا لما سئل ﷺ: **(من معك على هذا الأمر؟ قال:** حر وعبد) ثم تتابع المسلمون واحداً واحداً، وهم على خوف وابتلاء، إلى أن أذن الله تعالى لهم بالهجرة إلى المدينة، فبدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً في آخر الزمان، ويكون المتمسكون به غرباء مثل ما كانوا في مكة أول البعثة. وهذا الحديث خبر من الرسول ﷺ معناه التحذير مما يحصل في آخر الزمان، وفيه الحث على التمسك بالإسلام، ولو كان أهله قليلين مستضعفين.

يقول الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ: (والآن الإسلام عاد غريباً، ولو كان الذين يدَّعون الإسلام يبلغون المليار، أو أكثر، لكن الإسلام الصحيح غريب بين الذين يدَّعون الإسلام، فكيف الكفار.

فالمسلم الصحيح غريب بين الذين يدَّعون الإسلام، فليست العبرة بالكثرة، ولكن العبرة بالحقيقة، فالمسلمون الذين على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه قليلون غرباء، حتى بين المسلمين). اهـ.

وهذا مصداق لقول أبي بكر بن عياش ـ أحد أئمة السلف ـ إذ كان يقول: (السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان) [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/٦٦]، أي أن المتمسكين بالسنة غرباء بين المسلمين=

=غير المتمسكين بها من سائر الطوائف والفرق وأهل الأهواء، وذلك لقلتهم، حتى إن الإمام سفيان الثوري كان يقول: (إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة وآخر بالمغرب فابعث إليهما بالسلام وادع لهما، ما أقل أهل السنة والجماعة) [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/٦٤].

وكان يقول ـ أي سفيان الثوري ﷬ ـ: (استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء) [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/ ٦٤] فهذا في زمانهم، فما نقول نحن في زماننا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم رغّب النبي ﷺ المسلم في أن يكون مع الغرباء في آخر الزمان، حيث قال: **(فطوبى للغرباء)**، وطوبى: قيل هي شجرة في الجنة، يُعبَّر عن دخول الجنة بها، وقيل: هي اسم من أسماء الجنة، وقيل: هي الكلمة الطيبة.

وفي قوله ﷺ: **(فطوبى للغرباء)**: دليل على فضل الغرباء، وأن إسلامهم أكمل من إسلام غيرهم.

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح هذا الحديث تنبيهات مهمة منها:

١ ـ لا يقتضي أن تكون الغربة شراً للمسلم، بل هو خير، لأن الله تعالى وعد أهلها بالأجر، ووعد أهلها بالسعادة.

٢ ـ أن غربة الإسلام لا تُجوِّز للعبد أن يترك تمسكه بالدين.

(٢) في [صحيحه: ٣٧٠].

ورواه أحمد(١) من حديث ابن مسعود وفيه: (ومن الغرباء؟ قال: (النُّزَّاع من القبائل)(٢). وفي رواية: (الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس)(٣) ....

---

(١) في [المسند: ٣٧٨٤]، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) قوله ﷺ: **(النّزاع من القبائل)**: والنزاع: جمع نازع، وهو الذي ينتقل من أهله وعشيرته، وبلده إلى بلد آخر، فهو غريب عنهم.
قال ابن الأثير - في بيان معنى الحديث -: (طوبى للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله تعالى) [النهاية في غريب الحديث ٥/ ٤١]. وهذا هو الوصف الأول للغرباء.

(٣) قوله ﷺ: **(الذين يَصْلُحون إذا فسد الناس)**: أي يصبرون على الدين ولا ينظرون إلى فساد الناس فيتابعونهم، وكونهم يَصْلُحون بين الناس هذا يحتاج إلى صبر، وثبات، وفقه، ومعرفة بالأول. وهذا هو الوصف الثاني للغرباء، وهذا جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٦٦٩٠ وإسناده ضعيف جداً بهذه السياقة، وقد رواه الإمام أحمد بنحوه بإسناد جيد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه برقم (١٦٠٤)، ولفظه: **(إن الإيمان بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده ليأرِزَنَّ الإيمانُ بين هذين المسجدين، كما =**

وللترمذي(١) من حديث كثير بن عبد الله، عن أبيه، عن جده: (طوبى للغرباء الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي)(٢)..............

= تأرِزُ الحيَّةُ في جحرها).

(١) انظر ضعيف سنن الترمذي: ٢٦٣٠، وقال الألباني: ضعيف جداً، وقد حسنه الترمذي.

(٢) قوله: **(الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي)**: أي يكونون صالحين في أنفسهم، ويصلحون ما أفسد الناس بالدعوة إلى الله ﷻ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الخير قدر استطاعتهم، فالله ﷻ يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ۝﴾ [هود: ١١٧]. ولم يقل: صالحون.

فمعنى مصلحون: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأما إذا كانوا صالحين في أنفسهم وساكتين فإنهم يهلكون مع الهالكين، وتعمهم العقوبة في الدنيا، ثم يبعثون يوم القيامة على نياتهم.

وهذا هو الوصف الثالث للغرباء.

إذاً جاء في وصف الغرباء في الأحاديث ثلاثة أوصاف:

١ ـ النزاع من القبائل.

٢ ـ الذين يَصْلُحون إذا فسد الناس. =

=٣ ـ الذين يُصلحون ما أفسد الناس.

ولفظ حديث الترمذي هو قوله ﷺ: **(إن الدين ليأرزُ إلى الحجاز كما تأرزُ الحية إلى جحرها، وليَعْقِلَنَّ الله الدين في الحجاز، مَعْقِلَ الأرْوِيَّة من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريباً، ويرجع غريباً، فطوبى للغرباء، الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي)** [قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح] ويشهد له حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في المسند، السابق برقم (١٦٠٤).

ومعنى يأرز ـ بكسر الراء ـ وقد تُضم: أي ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض.

و(الحجاز): اسم مكة والمدينة، وما حواليهما من البلاد، وسميت حجازاً، لأنها حجزت: أي منعت وفصلت بين بلاد نجد والغور.

ومعنى **(ليعقِلن)**: أي ليعتصمن: أي يمتنع بالحجاز ويتخذ منه حصناً وملجأ.

و**(الأرويَّة)**: الأنثى من المعز الجبلي. وهي: بضم الهمزة وتكسر، وتشدد الياء. والمعقل: مصدر بمعنى العقل.

والمعنى: أن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين ـ مسجد مكة ومسجد المدينة ـ كما تأرز الحية في جحرها، والمراد أن أهل الإيمان يفرون بإيمانهم إلى المدينة، وقاية بها عليه، أو لأنها وطنه=

وعن أبي أمية قال: سألت أبا ثعلبة ﷺ، فقلت: يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية؟ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾[1] [المائدة: ١٠٥]، ....

=الذي ظهر وقوي بها، وأن الدين في آخر الزمان عند ظهور الفتن واستيلاء الكفرة والظلمة على بلاد أهل الإسلام، يعود إلى الحجاز كما بدأ منه.

وفي هذا تنبيه على أن نصرة الإسلام، والقيام بأمره يصير محتاجاً إلى الخروج عن الأوطان، والصبر على مشاق الغربة كما كان في أول الأمر. فأهل الدين في الأول كانوا غرباء ينكرهم الناس، ولا يخالطونهم وكذا في الآخر، فطوبى للغرباء أولاً وآخراً الذين يعملون بسنتي ويظهرونها بقدر طاقتهم). اهـ. [مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، هامش ص ٩٩، ١٠٠، من مج ٣ قسم الحديث]. وانظر: [مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٥٧/٣، ١٥٨ ـ الهامش ـ].

[1] هذه الآية من سورة المائدة افتتحت بنداء الله ﷻ للمؤمنين وحث لهم.

ـ ومعنى قوله: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ ﴾: أي ألزموا أنفسكم، واعتنوا بأمر أنفسكم أولاً.

ـ ومعنى قوله تعالى: ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾: يعني أن ضلال=

قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: (بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر(١)، ....

=من ضل على نفسه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، فلا يُسأل أحدٌ عن عمل أحد، وإنما يُسأل كل إنسان عن عمل نفسه: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١]، ولكن عليكم بالدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا واجب لا يسقط بدليل الأدلة الأخرى الواردة في ذم من تركه، كما قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باقٍ إلى قيام الساعة، فليس معنى الآية إسقاطها كما يفهمه بعض الجهال أو المغرضين الذين يريدون أن يضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما معنى الآية: أنه لا يضرك ضلال غيرك إذا ضل، ولم يقبل الهداية، والموعظة والنصيحة، فأنت قد برئت ذمتك بالنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن اهتدوا فهدايتهم لأنفسهم، وإن ضلوا فضررهم عليهم.

(١) قوله ﷺ: **(بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر)**: كأن السائل فهم=

حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك العوام[1]، ....

=من ظاهر الآية أن الإنسان لا يلزمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعليه أن يشتغل بإصلاح نفسه، فأرشده النبي ﷺ على التزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) قوله: **(حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام)**:

(شحاً مطاعاً): الشح: البخل مع الحرص، ومطاعاً: يعني أن نفس الإنسان تطاوعه على الشح.

(وهوى متبعاً): أي ليس عليه أثارة من علم لا من كتاب ولا من سنة ولا من عمل سلف هذه الأمة.

(ودنيا مؤثرة): أي مؤثرة على الآخرة.

(وإعجاب كل ذي رأي برأيه): سواء كان هذا الرأي صحيحا أو غير صحيح، ولكنه يكون مستمسكاً بهذا الرأي ولو تبين له فساده.

(فعليك بنفسك): قال العلماء: هذا هو الرخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني إذا عم الفساد وطغى، وكانت الفتن، فإنه حينئذ يكون مشتغلاً بنفسه، لأنه في زمن فتنة، وحتى=

فإن من ورائكم أياماً الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم. قلنا: منا أم منهم؟ قال: بل منكم(١) رواه أبو داود(٢) والترمذي(٣) ....

=لو كان مستمسكاً بالسنة، فإن الخشية عليه في الفتنة عظيمة. فعليه بإصلاح نفسه.

(ودع عنك العوام): أي ودع عنك عامة الناس، وحينئذ يترخص له في ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ـ كما ذكره أهل العلم ـ.

(١) قوله: **(فإن من ورائكم أياماً الصابر فيهن مثل القابض على الجمر)**: يعني من بعدكم أياماً الصابر فيها على دينه مثل القابض على الجمر، لأنه يلحقه من الأذى والشدة، ما كأنه ممسك بجمرة، وهي تؤذيه، كناية عن شدة تمسكه بالدين.

(للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً...): يعني أجر العامل في زمن الغربة يتضاعف، ويكون موازياً لعمل خمسين رجلاً من الصحابة. وهذا ليس من باب تفضيل الغرباء الذين يأتون في آخر الزمان على الصحابة ﵃، ولكن العمل في زمن الغربة يضاعف بأجر خمسين عملاً من أعمال الصحابة ﵃ التي تقع مماثلة لعمل هذا، وأما فضل الصحابة ﵃، وما عملوه في الإسلام فهذا شيء آخر، لا يوازيهم غيرهم=

=في الفضل.

وبيَّن الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ سبب هذه المضاعفة فقال: (لأن الصحابة كانوا مع الرسول ﷺ، والدين عزيز في ذلك الوقت والمسلمون كثيرون، وأما هذا فهو غريب ومع هذا يتمسك بالدين، ويدافع عنه، مع أنه ليس له أنصار ولا أعوان، فلذلك حاز على هذا الأجر وصار في هذه المسألة خاصة أفضل من الصحابة ـ أي مسألة الصبر وقلة الأنصار والأعوان ـ والصحابة أفضل منه في أمور أخرى، في الصحبة والجهاد مع رسول الله ﷺ والهجرة، فهو أفضل منهم في خصلة، وهم أفضل منه في خصال). اهـ.

وفي هذا الحديث بيان لفضل العمل في وقت الغربة، وفيه فضل الغرباء. والعمل لا شك أنه من الإسلام، إذاً فالإسلام يتفاضل بعضه على بعض بالنسبة للأوقات، والأمكنة، والأحوال. ففضل الإسلام في وقت الغربة بيَّنه النبي ﷺ في هذا الحديث، وبيَّن أجر العاملين فيه.

(٢) انظر ضعيف سنن أبي داود: ٤٣٤١. وقال الألباني: ضعيف، لكن فقرة أيام الصبر ثابتة.

(٣) انظر ضعيف سنن الترمذي: ٣٠٥٨. وقال الألباني: ضعيف، لكن بعضه صحيح.

وروى ابن وضّاح(١) معناه من حديث ابن عمر ﷺ ولفظه: (إن من بعدكم أياماً الصابر فيها المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم له أجر خمسين منكم. قيل: يارسول الله: منهم؟ قال: بل منكم)(٢).

ثم قال(٣): أنبأنا محمد بن سعيد، أنبأنا أسد، قال: [نا] سفيان بن عيينة عن أسلم البصري، عن سعيد أخي الحسن يرفعه، قلت

---

(١) في كتابه [البدع والنهي عنها برقم ١٨٨].

(٢) يقول الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ عند شرحه لهذا الحديث: (هذه الأيام التي يشتد فيها غربة الإسلام وقلة الأنصار، وكثرة الأعداء والمخذلين والمرجفين، والله أعلم أن هذه مبادئ لهذا الزمان، وقد يأتي زمان أشد من هذا، فالذي يثبت على دينه وجهاده ودعوته فإنه يكون كالقابض على الجمر من شدة ما يلقى من الناس، يحتاج إلى صبر شديد. وقوله: **(بمثل ما أنتم عليه)**: ما عليه الصحابة ﷺ، فالذي يتمسك بالدين، ويثبت على طريقة الرسول ﷺ وأصحابه يكون من الفرقة الناجية، فيصبر على مخالفة الناس، وعلى لومهم وذمهم، بل يصبر على ما يناله منهم في نفسه وبدنه؛ لأنه على الدين والحق). اهـ.

(٣) أي ابن وضاح في كتابه [البدع والنهي عنها برقم ١٨٩] وقال المحقق إسناده ضعيف.

لسفيان(١): عن النبي ﷺ قال: نعم قال: (إنكم اليوم على بينة من ربكم تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر وتجاهدون في الله، ولم يظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش وستحولون عن ذلك فلا تأمرون بالمعروف، ولا تنهون عن المنكر، ولا تجاهدون في الله وتظهر فيكم السكرتان، فالمتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين. قيل: منهم؟ قال: لا، بل منكم(٢))..................................

---

(١) (قلت لسفيان): القائل هو أسد بن موسى، يسأله هل هذا الذي ترويه حديثاً عن النبي ﷺ؟ قال: نعم.

(٢) قوله: **(إنكم اليوم على بينة من ربكم)**: يعني على علم، فتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في الله.

ثم قال: **(ولم يظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش)**: لأن الجهل يأخذ بالعقل، وكذا حب العيش والطمع بالدنيا يأخذ بالعقل.

(وستحولون عن ذلك): أي عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والجهاد في الله.

(وستظهر فيكم السكرتان): أي سكرة الجهل، وسكرة حب العيش.

(فالمتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين): يعني من الصحابة رضي الله عنهم، وهذا يوافق الحديث السابق، والذي فيه: **(للعامل فيهن أجر**=

وله(١) بإسناد عن المعافري قال: قال رسول الله ﷺ: (طوبى للغرباء الذين [يُمسِّكون بكتاب الله] حين يُتْرَك، ويعملون بالسنة حين تُطْفَأ)(٢).

= **خمسين منكم).**

وهذا يدل على فضل الغرباء، وفضل العمل في وقت الغربة، وفضل الاستمساك بالدين في زمن الغربة.

(١) أي لابن وضاح في كتابه [البدع والنهي عنها برقم ١٦٩]، وإسناده ضعيف.

(٢) المعافري هو بكر بن عمرو المعافري من التابعين، فالحديث مرسل.

وقوله: **(طوبى للغرباء)**: هذا يوافق الحديث الأول الذي مر معنا. وقد ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ لأن فيه زيادة بيان لمعنى الغرباء، ولا شك أن هذه الآثار أو الأحاديث، وإن كان في أسانيدها مقال، إلا أنها مجتمعة تعطي قوة لأصل هذا الحديث، كما أن شواهدها من الكتاب والسنة تدل على أنها تصلح للاستشهاد بها.

وقوله: **(الذين يُمسِّكون بكتاب الله حين يترك، ويعملون بالسنة حين تطفأ)**: أي أنهم يتمسكون بأنفسهم، ويُمسِّكون غيرهم بكتاب الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعليم، والدعوة إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ =

= ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٠].

فلا شك أن الذي يثبت على الدين عند الفتن والشرور، وانقلاب الناس ضده فهذا يُرجى له خير كثير، ولكن هذا نادر فأكثر الناس لا يصبر.

وللحافظ ابن رجب رحمه الله رسالة قيمة في مسألة الغربة بعنوان: [جلاء الكربة في حال أهل الغربة].

* * *

باب التحذير من البدع(١)

عن العرباض بن سارية قال: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون. قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودِّع فأوصنا(٢) ....

---

(١) عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب في آخر الكتاب ليحذر من البدع، لأنها من أعظم أسباب عدم إدراك الإنسان لفضل الإسلام كاملاً، ولأنها من أخطر الأشياء التي تقدح في إسلام العبد، ولا تجعله ينال فضل الإسلام كاملاً.

وإنما كانت في هذه الخطورة؛ لأن الكفر يخشاه المسلمون ويتقونه غالباً والمعاصي كذلك يوجل منها المسلمون ولو عملوها، وأما البدع فإنها قد تسري في النفوس، من حيث إنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ويتقربون إلى الله عز وجل بهذه البدع التي يُحرموا بها فضل الإسلام، وقد تؤول بهم إلى الخروج من الدين بالكلية ـ والعياذ بالله ـ وهم لا يشعرون.

(٢) قوله: **(وعظنا رسول الله ﷺ موعظة.... فأوصنا)**: كان النبي ﷺ يتخول أصحابه رضي الله عنهم بالموعظة فكانت موعظته بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، وقيل أنها كانت بعد صلاة الفجر، ففهموا منها أنها وصية من رسول الله ﷺ، وأن حياته أوشكت على النهاية، فطلبوا منه=

قال: (أوصيكم بتقوى الله ﷻ، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد[1]، ....

=الوصية؛ لأن من عادة المودِّع الذي يريد السفر أو الموت أن يوصي أولاده من بعده، وهذه من عادة الأنبياء ــ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والتسليم ــ أنهم كانوا يوصون ذراريهم.

(١) قال: **(أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد)**:

فقوله: **(أوصيكم بتقوى الله)**: كلمة جامعة لخصال الخير، يدخل فيها فعل الواجبات، وترك المحرمات؛ لأن هذا هو الذي يقي من عذاب الله.

ومن تقوى الله **(السمع والطاعة)** لمن ولاه الله تعالى أمر المسلمين وإن كان فاسقاً، أو ظالماً، أو فاجراً ــ ما لم يكن كافراً ــ وذلك لأنه بالسمع والطاعة لهم اجتماع الكلمة، وقوة الأمة، وإقامة الحدود، وإنصاف المظلوم، لهذا وجبت طاعتهم في غير معصية الله ﷻ. والأعداء يريدون تقويض جماعة الإسلام، والقضاء على الإسلام، وذلك لأن الإسلام لا يصلح إلا بجماعة، والجماعة لا تقوم إلا بولاية، والولاية لا تقوم إلا بالسمع والطاعة، والأعداء لا يريدون ذلك حتى يسهل انقياد المسلمين لهم. قوله: **(وإن تأمر عليكم عبد)**: وفي بعض الروايات: **(عبداً حبشياً كأن رأسه زبيبة)** فإنه تجب طاعته؛ لأن ولي الأمر يُطاع لمنصبه ومكانته، لا ينظر إلى شخصه وهيئته، وإنما يُنظر إلى منصبه العظيم الذي يتولاه فطاعته ليس=

وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ[1]، ....

=لمنفعته هو، وإنما لمنفعة المسلمين ومصلحتهم، فهذا من باب الحث والتأكيد.

(١) قوله: **(وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً.... النواجذ)**: هذا خبر معناه التحذير، فإن من طالت به الحياة من الصحابة رضي الله عنهم فسيرى اختلافاً كثيراً فهذا في عصر الصحابة فكيف بتطاول الزمن، وما يحصل فيه من الاختلاف والفِرق والأحزاب. لذا كانت وصيته ﷺ لنا عند الاختلاف هي التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين فقال: **(فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)**: المراد بسنته ﷺ هي طريقته، وسنة الخلفاء: طريقتهم لأن عملهم توطيد لسنة الرسول ﷺ وتثبيت لها.

وهذه الوصية العظيمة توافق قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

والخلفاء الراشدون هم الأربعة: (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين)؛ لأن الخلافة انتهت بعد مضي ثلاثين سنة من وفاة الرسول ﷺ، فقد أخبر النبي ﷺ أن: **(الخلافة ثلاثون سنة ثم يكون بعد ذلك=**

وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة[1])..........................

=مُلكاً) إسناده حسن [السنة لابن أبي عاصم: ١١٨١].

فكان أول الملوك في الإسلام معاوية بن أبى سفيان ﷺ، وقد كان ملك رحمة كما نص عليه أهل العلم.

ـ **(عضوا عليه بالنواجذ)**: النواجذ جمع ناجذة وهي الأضراس، فقد شبه الرسول ﷺ الواقع في الفتن بالواقع في لجة البحر، فهذا لا ينجو من اللُّجَّة إلا بحبل يعتصم به، ويمسك به حتى لا يغرق، ومن حرصه على الحبل يعض عليه بنواجذه، فلا يكفي بإمساكه بيديه، بل يعض عليه بأضراسه، وهذا من شدة الخطر، وشدة الحرص على النجاة كذلك أنتم في أيام المحن ليس لكم نجاة إلا حبل السنة تمسكوا به، فإن انطلق فما لكم نجاة.

(١) قوله: **(وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)**:

إياكم: كلمة تحذير، والمعنى: إياكم من مخالفة سنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين، فما خالف سنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء فإنه يكون من محدثات الأمور، وحذر منه الرسول ﷺ، وإن كان أصحاب البدع يحسنونها ويقولون: هذا طاعة لله وتقرب إليه، فإنه لا ينفعهم، فلا يجوز التقرب إلى الله تعالى إلا بما شرع.

فالعمل لا يقبل إلا بشرطين: =

قال الترمذي: حديث حسن صحيح(١).

وعن حذيفة ﵁ قال: (كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد ﷺ فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم)(٢) رواه أبو داود(٣) ....

=١ـ الإخلاص فما كان فيه شرك فإنه لا يقبل.

٢ ـ المتابعة فما كان فيه مخالفة فإنه بدعة لا يقبل.

ومعنى المحدثات: المبتدعات المخالفة للسنة.

(فإن كل بدعة ضلالة): هذا فيه رد على الذين يقسمون البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة، بأن هذا التقسيم باطل؛ لأن فيه معاندة للرسول ﷺ الذي قال: **(كل بدعة ضلالة)**.

وقد أورد المؤلف ﵀ هذا الحديث في هذا الباب (التحذير من البدع) لما اشتمل عليه من التحذير من البدع في قوله: **(وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)**.

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذي في [صحيح سنن الترمذي: ٢٦٧٦].

(٢) الأصل في الاتباع سنة النبي ﷺ، لكن لما كان أعرف الناس بها هم صحابته ﵃، فهم الذين يروونها، ويبينونها، ويعملون بها فإن الأخذ بما يعمله الصحابة ﵃ هو أخذ بسنته ﷺ، لأنهم أقرب الناس إليه، =

=ولذلك أثنى الله تعالى على أتباعهم بقوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ ﴾: أي بعلم ومعرفة لهديهم وسنتهم، لا بجهل وغلو وإفراط أو تفريط، بل بإحسان يتقنون الاقتداء بالصحابة من المهاجرين والأنصار، ثم قال: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فالصحابة رضي الله عنهم حُجة إذا عملوا عملاً فهو من سنة الرسول ﷺ، وأما من جاء بعدهم فإنه يخطئ ويصيب وقد حث ابن مسعود رضي الله عنه على الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ فقال: (من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فأعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم) [منهاج السنة لابن تيمية: ١/١٦٦].

وقوله: **(فاتقوا الله يا معشر القراء)**: يريد العلماء؛ لأنه في ذلك الوقت القراء هم العلماء، لأنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا معانيهن، والعمل بهن، بخلاف قراء آخر الزمان فهم ليسوا فقهاء، بل مجرد قراء يقرأون القرآن ويحفظونه مجوداً فحسب.

(٣) لم أقف عليه في [سنن أبي داود].

وقال الدارمي(١): أخبرنا الحكم بن المبارك، أنبأنا عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: (كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود ﷺ قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد(٢) فجاءنا أبو موسى الأشعري ﷺ فقال: أَخَرج إليكم أبو عبدالرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه.

قال: رأيت في المسجد قوماً حِلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة فيهللون مائة، ....

---

(١) في [سننه: ٢١٠] بإسناد جيد.

(٢) قوله: (كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود..... إلى المسجد): هذا من تقدير السلف لأهل العلم، كانوا يحرصون على الأخذ منهم، والمشي معهم، ومجالستهم، وقد كان ابن مسعود ﷺ مفتياً ومعلماً وقاضياً وكان أبو موسى الأشعري أميراً على الكوفة آنذاك.

ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قلت: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك، أو انتظار أمرك(١).

قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى، ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحِلَق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: ياأبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء(٢)............

---

(١) قوله: **(فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن..... انتظار أمرك)**: أصل التهليل والتكبير والتسبيح مشروع، لكن جعله على هذه الصفة يتحلقون حلقاً، ويتجمعون على الذكر الجماعي، وعندهم واحد يقول لهم: سبحوا مائة، كبروا مائة....الخ، وهم يعدون بالحصى. هذه الصورة بدعة لم يفعلها الرسول ﷺ، ولا أمر بها، وكل بدعة تؤول إلى شر، وقد جاء في آخر هذه القصة حيث صار هؤلاء مع الخوارج يُقاتلون المسلمين، فآل بهم الابتداع إلى الخروج على ولاة أمر المسلمين.

(٢) قوله **(أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم.... من حسناتكم شيء)**: والمعنى أن هذا العدّ بدعة، هل تعد أنت على الله، والله تعالى لا يخفى عليه شيء ولكن أنت عليك أن تعد سيئاتك وتتوب منها، وأما الحسنات فاعملها=

ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ، وآنيته لم تُكْسَر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أومفتتحو باب ضلالة(١)؟...

=ولا تعددها فتقول: أنا سبحت مائة، أو ألف ونحو ذلك؛ لأن هذا من الرياء، ومن البدع؛ لأنه لم يرد في السنة أن الإنسان يحصي عمله أو يحصي حسناته، وإنما الذي ورد هو الذكر المقيد بعدد معين في أدبار الصلوات، وفي أذكار الصباح والمساء، ونحو ذلك، وأما ما جاء مطلقاً فلا يحدد بعدد، والله أعلم.

(١) قوله: **(ويحكم يا أمة محمد.... أومفتتحو باب ضلالة)**: وذلك لأن ابن مسعود رضي الله عنه توفي عام ٣٢هـ وعامة أصحاب النبي ﷺ موجودون ومنهم عثمان، وعلي، وسعد، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد ابن زيد رضي الله عنهم، وهؤلاء من العشرة المبشرين بالجنة، وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ كابن عباس، وأبي هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم جميعاً كانوا متوافرين بين أظهرهم، ومع ذلك فعلوا هذه البدعة دون أن يسألوا لذا أنكر عليهم ابن مسعود رضي الله عنه لعلمه أن هذا ليس من سنة النبي ﷺ ولم يكن عند أبي موسى الأشعري رضي الله عنه علم فتوقف، حتى سأل ابن مسعود رضي الله عنه.

قالوا: والله يا أباعبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه[1]. إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم[2]).

فقال عمرو بن سلمة رضي الله عنه: رأينا عامة أولئك الحِلَق يُطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج[3]. هذا آخر ما تيسر.

---

[1] قوله: **(قالوا والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير... لن يصيبه)**: يعني أن مجرد النية أو إرادة الخير لا تبرر البدعة، فالبدعة شر، وإن كانت نية صاحبها وقصده حسناً، فهذا لا يبرر البدعة حتى يكون العمل موافقاً للكتاب والسنة.

[2] قوله: **(إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن.... ثم تولى عنهم)**: ثم ذكر ابن مسعود رضي الله عنه حديث الخوارج الذين يغلون في الدين ويعملون من غير دليل أو فقه، ويقرأون القرآن من غير فهم له، ويجتهدون من عند أنفسهم، وبآرائهم من غير أن يتفقهوا في دين الله. فهذه طريقة الخوارج، فتوقع رضي الله عنه أن هؤلاء الذين في المسجد سيؤولون إلى منهج الخوارج، وصاروا منهم بالفعل، وذلك لأن البدعة تجر إلى الشر.

لذا قال: **(وأيم الله لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم)**، وهذا يدل على فقهه رضي الله عنه، وقوته في الحق.

[3] فقال عمرو بن سلمة رضي الله عنه: **(رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم=**

=**النهروان مع الخوارج)**: والنهروان: موقعة جرت بين علي رضي الله عنه والخوارج، ونصر الله أمير المؤمنين عليهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة وكانت بالعراق فهؤلاء الذين أخذوا بهذه البدعة الصغيرة، والتي ما أرادوا بها إلا الخير، والاجتماع على الذكر، ولكن على غير هدى، جرَّهم ذلك إلى أن يكونوا مع الخوارج، كما توقع ابن مسعود رضي الله عنه.

وهذا فيه التحذير من البدع من جهات:

الأولى: أن عمل المبتدع لا يقبل ولا يرفع إلى الله عز وجل؛ لأنها ـ البدعة ـ ليست على هدى، فيكون عمله هذا هباءً منثوراً، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: **(يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم)**، وقول ابن مسعود رضي الله عنه: (فعدوا سيئاتكم).

الثانية: أن البدع لا يستهان بها ولو كانت صغيرة، لأنها قد تؤول بصاحبها إلى البدع الكبيرة.

ونختم هذا الباب ببيان أسباب نشوء البدعة كما ذكرها الشيخ صالح آل الشيخ ـ حفظه الله ـ في معرض شرحه لكتاب [أصول الإيمان] حيث ذكر أن أسباب نشأة البدع:

١ـ الجهل: فالبدعة يُنشئها الجهل بالسنة ـ وإلا فالسنة كافية ـ حيث ينشئ عبادة يتعبدها، فيصير إلى البدعة لأجل جهله.

٢ ـ الهوى: وهو من أعظم أسباب حدوث البدع في هذه الأمة =

=فالخوارج والمرجئة والقدرية عندهم أهواء مع الجهل والتأويل.

٣ ـ إرادة الخير: فيكون عنده جهل مع رغبة في الخير كما فعل هؤلاء أصحاب الحلق، وقد رد ابن مسعود ﷺ على هذه الشبهة ـ إرادة الخير ـ بأبلغ رد عندما قال: (كم من مريد للخير لن يصيبه).

٤ ـ الغلو: وهو مجاوزة الحد المأذون به، إما في المسائل العلمية أو العملية فمن جاوز الحد المشروع فإنه لا يؤمن عليه الصيرورة إلى البدعة فهؤلاء أصحاب الحلق غالوا في الأذكار إلى أن خرج بهم إلى البدعة. والغلو من أعظم أسباب ترك السنة والأخذ بالبدع.

* * *

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله ننال المكرمات والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه حتى الممات...

أما بعد:

فإنه من فضل الله تعالى ومنته علينا أن يسَّر لي الوقوف على هذا الكتاب القيِّم، وسماع شروح العلماء له، وتلخيصها عبر تلك الصفحات السابقة، وهذا جهد المقل، وعمل المخل، فإن أحسنت فمن الله تعالى تفضلاً وكرماً، وإن أسأت فمن نفسي ومن الشيطان وأسأل الله تعالى أن يتجاوز عني بعفوه إنه سميع مجيب.

وحتى تكتمل الفائدة، ويستطيع القارئ الكريم أن يقف على مقاصد الكتاب ألخص هنا هذه المقاصد في النقاط التالية:

(١) أن كتاب [فضل الإسلام] كتاب منهجيّ ودعويّ، فهو يبين لنا منهج أهل السنة والجماعة في العمل والدعوة.

(٢) بيان فضل الإسلام باعتبار الزمان والمكان والحال، وفضل الله تعالى علينا بهذا الدين، ووجوب شكره حق الشكر.

(٣) أن الدخول في الإسلام ليس بالانتساب فقط، بل بتحقيق شرائع الدين التي أمر الله بها، سواء في الواجبات والمستحبات أو التي نهى عنها من المحرمات والمكروهات، حتى يكون ممتثلاً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

(٤) لكي نحقق هذا الدين تحقيقاً كاملاً لا بد أن نتعلم ما هو تفسير الإسلام، وما يتناوله من حق الله تعالى، وحق رسوله ﷺ وما يدخل تحت ذلك من حق المسلمين عامة، وحق ولاة الأمر خاصة، ونحو ذلك مما جاء بيانه في هذا الكتاب.

(٥) بيان أن هذا الدين كامل لا يحتاج إلى أي مذهب، أو دين آخر بل هو مستغن بالكتاب والسنة عن كل ما سواه.

(٦) التحذير مما يفرق الأمة من الأسماء والشعارات والألقاب التي فتكت بجسم الأمة، ولا تزال حتى ترجع إلى المورد العذب الزلال وهو ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في العقيدة والعمل.

(٧) التحذير من خطر البدع، وأنها أشد من الكبائر. وحسبك

دليلاً على خطورتها نهاية السوء التي يؤول إليها المبتدع دنيا وآخرة، من ذلك:

أ) أن عمله مردود.

ب) أن التوبة محجوبة عنه ما برح مقيماً على بدعته.

ج) لا يرد الحوض يوم القيامة.

د) أن عليه إثم من عمل ببدعته إلى يوم القيامة.

هـ) أن صاحب كل بدعة ملعون لقوله ﷺ: **(من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين...)**.

و) أن صاحب كل بدعة لا يزداد من الله إلا بعداً، لحديث: **(يمرقون من الدين ثم لا يعودون)**.

(٨) أن الثبات على هذا الدين حتى الممات أعظم ما يجب الصبر عليه، والاستعانة بالله على تحقيق ذلك، ولا يكون فضل الإسلام كاملاً إلا لمن كان على ذلك.

(٩) ضرورة تعلم التوحيد وما يضاده من أنواع الشرك، وأنواع الردة، ونواقض الإسلام؛ حتى لا يقع فيها المسلم وهو غافل ويصير في الآخرة مع الخاسرين وهو لا يعلم - عياذاً بالله -.

(١٠) التحذير من دعاة الضلالة، وعدم الاغترار بالكثرة فإن الحق يُعرف بالاتباع وليس بالكثرة.

(١١) الحذر من الأمن من مكر الله تعالى، فالمؤمن الفطن هو الذي ينزل جميع هذه النصوص على نفسه فيكون دائماً متيقظاً ومشمراً من الوقوع في البدع والمعاصي، حتى لا يقع فيما وقع فيه الغافلون.

(١٢) الحرص على التمسك بهذا الدين شريعة وعقيدة في زمن الغربة هذا، والدعوة إليه، لما جاء في فضل العمل في زمن الغربة، وفضل الغرباء.

هذا وأسأل الله العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، والذابين عن هذا الدين، وأن يسقينا من حوض نبيه ﷺ شربة هنيَّة لا نظمأ بعدها أبداً، وأن يرزقنا الثبات على الدين حتى الممات هو وليّ ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبته

حنان بنت علي بن محمد اليماني

وفرغت منه في اليوم الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة
لعام خمسة وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية

فهرس المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة - الشيخ الإمام أبو عبدالله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي - تحقيق: رضا بن نعسان معطي - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م - دار الراية - الرياض.

(٣) الأحاديث المختارة - الإمام ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي - تحقيق: أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش - الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م - دار خضر - بيروت - لبنان.

(٤) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان.

(٥) الاستذكار - الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي - تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - مؤسسة الرسالة - دمشق - بيروت.

(٦) الاستيعاب في بيان الأسباب - سليم بن عيد الهلالي، ومحمد بن موسى آل نصر - الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية.

(٧) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير - د. محمد بن محمد أبو شهبة - الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ - مكتبة السنة - القاهرة.

(٨) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ـ الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ـ تحقيق: محمد حامد الفقي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

(٩) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ـ شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ـ تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ مكتبة الرشد ـ الرياض.

(١٠) البدع والنهي عنها ـ الإمام الحافظ محمد بن وضاح القرطبي ـ تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم ـ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.

(١١) التحفة العراقية في الأعمال القلبية ـ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ـ تحقيق: د. يحيى بن محمد الهنيدي ـ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م ـ مكتبة الرشد ـ الرياض.

(١٢) تحكيم القوانين ـ العلامة المحدث محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ـ الطبعة الثالثة ١٤١١هـ.

(١٣) تفسير الطبري ـ الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

(١٤) تفسير القرآن العظيم ـ الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ـ الطبعة السادسة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.

(١٥) التفسير القيم ـ الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ـ جمعه: محمد أويس الندوي ـ حققه: محمد حامد الفقي ـ الطبعة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

(١٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر الأندلسي - تحقيق: أ. مصطفى بن أحمد العلوي، و أ. محمد عبد الكبير البكري. ط. د - مكتبة ابن تيمية - المركز الإسلامي - القاهرة.

(١٧) التمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد - الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - دار التوحيد - الرياض.

(١٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - تحقيق: محمد زهري النجار - طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٤هـ.

(١٩) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم - الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي، الشهير بابن رجب - تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس - الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م - مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٢٠) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول - الشيخ عبد الله بن صالح الفوزان - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - مكتبة الرشد - الرياض.

(٢١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني - ط. د - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٢٢) الذيل على النهاية في غريب الحديث والأثر - أبو عبد الله عبد السلام بن محمد عمر علّوش - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م - دار ابن حزم - بيروت - لبنان.

(٢٣) الزهد ـ الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ـ تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

(٢٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ـ الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ دمشق.

(٢٥) السنة ـ الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني ـ ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة ـ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ دمشق.

(٢٦) سنن أبي داود ـ الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ـ ومعه كتاب معالم السنن للخطابي ـ إعداد: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد ـ الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م ـ دار الحديث بيروت ـ لبنان.

(٢٧) سنن الترمذي [الجامع الصحيح] ـ الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ـ تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر ـ ط. د ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان.

(٢٨) سنن الدارمي ـ الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ـ تحقيق: فواز أحمد زمرْلي، وخالد السبع العلمي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ـ دار الريان ـ القاهرة.

(٢٩) سير أعلام النبلاء ـ الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

(٣٠) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن ابن منصور اللالكائي ـ تحقيق: د. أحمد سعد حمدان ـ ط. د ـ دار طيبة ـ الرياض.

(٣١) شرح السنة ـ الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ـ تحقيق وتعليق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش ـ الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان.

(٣٢) شرح صحيح مسلم ـ الإمام يحيى بن شرف النووي ـ ضبط النص: محمد فؤاد عبد الباقي ـ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

(٣٣) الشريعة ـ الإمام المحدث أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ـ تحقيق: د. عبد الله ابن عمر الدميجي ـ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ـ دار الوطن ـ الرياض.

(٣٤) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه ـ الشيخ أحمد بن حجر آل بن علي ـ أمر بطبعه جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود ـ الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ـ مطبعة الحكومة بمكة.

(٣٥) صحيح البخاري ـ الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ ضبطه ورقمه: د. مصطفى أديب البُغا ـ الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت.

(٣٦) صحيح الترغيب والترهيب ـ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م ـ مكتبة المعارف ـ الرياض.

(٣٧) صحيح سنن ابن ماجة ـ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.

(٣٨) صحيح سنن أبي داود - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - المكتب الإسلامي - بيروت.

(٣٩) صحيح سنن الترمذي - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - المكتب الإسلامي - بيروت.

(٤٠) صحيح مسلم - الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - وقف على طبعه: محمد فؤاد عبد الباقي - ط. د - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٤١) ضعيف سنن أبي داود - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م - المكتب الإسلامي - بيروت.

(٤٢) ضعيف سنن الترمذي - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق.

(٤٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية - الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية - ط. د - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٤٤) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب - محمد حامد الناصر - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م - مكتبة الكوثر - الرياض.

(٤٥) العقلانيون أفراخ المعتزلة - علي بن حسن عبد الحميد الحلبي - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م - مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة.

(٤٦) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب - الشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني - ضبطه وصححه: الشيخ محمد بن عبد العزيز الخالدي - الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٤٧) الغريبين في القرآن والحديث ـ العلامة أبوعبيد أحمد بن محمد الهروي صاحب الأزهري ـ تحقيق ودراسة : أحمد فريد المزيدي ـ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م ـ مكتبة نزار مصطفى الباز ـ المملكة العربية السعودية ـ مكة المكرمة ـ الرياض .

(٤٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العقلاني ـ رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي ـ قام بإخراجه: محب الدين الخطيب ـ ط. د ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.

(٤٩) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ـ الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ـ ط. د ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

(٥٠) فضائل الصحابة ـ الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ـ حققه وخرج أحاديثه: د. وصيّ الله بن محمد عباس ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ دار العلم ـ المملكة العربية السعودية.

(٥١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ قسم الحديث ـ عبد العزيز بن زيد الرومي وآخرون ـ ط. د ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض.

(٥٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد ـ طبعته وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بأمر من الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ المملكة العربية السعودية.

(٥٣) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه ـ أ. مسعود الندوي ـ ترجمة وتعليق: عبد العليم عبد العظيم البستوي ـ مراجعة وتقديم: د. محمد تقي

الدين الهلالي - ط. د ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٥٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل - شارك في التحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون - الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٠م - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

(٥٥) مسند الدارمي المعروف ب [سنن الدارمي] - الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي - تحقيق: حسين سليم أسد الداراني - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - دار المغني - الرياض.

(٥٦) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير - إعداد: جماعة من العلماء بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م - دار السلام - الرياض.

(٥٧) المصنف في الأحاديث والآثار - الإمام الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة - تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - دار التاج - بيروت - لبنان.

(٥٨) مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية - د. فرج علي الفقيه حسين - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م - دار قتيبة - بيروت - لبنان.

(٥٩) منهاج السنة النبوية - شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية - ط. د - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٦٠) ميزان الاعتدال في نقد الرجال - الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - دراسة وتحقيق: علي محمد معوَّض وآخرون - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٦١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ - إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، وعبد الرحمن بن محمد ابن عبد الرحمن بن مَلُّوح - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م - دار الوسيلة - جدة.

(٦٢) النهاية في غريب الحديث والأثر - الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير - تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي - ط. د - دار الباز - عباس أحمد الباز - مكة المكرمة.

المسموعات:

(١) شرح كتاب فضل الإسلام - للشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

(٢) شرح كتاب فضل الإسلام - للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ [ولم يُكمل].

(٣) شرح كتاب فضل الإسلام - للدكتور عبد العزيز السعيد.

(٤) شرح كتاب فضل الإسلام - للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل.

فهرس محتوى الكتاب

المحتوى	الصفحة
❁ تقريظ	٥
❁ مقدمة	٧
❁ ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله	١٣
❁ تعريف بالكتاب	١٨
❁ باب فضل الإسلام	٢١
❁ باب وجوب الإسلام	٥١
❁ باب تفسير الإسلام	٧٨
❁ باب قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	٨٩
❁ باب وجوب الاستغناء بمتابعته ـ يعني القرآن ـ	٩٦
❁ باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام	١٠٨
❁ باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه	١٣٠
❁ باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر	١٤٥
❁ باب ما جاء أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة	١٥٥
❁ باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	١٥٩
❁ باب قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾	١٦٧
❁ باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء	٥٠٦
❁ باب التحذير من البدع	٢٢٢

المحتوى	الصفحة
۞ الخاتمة	٢٣٤
۞ فهرس المصادر والمراجع	٢٣٩
۞ فهرس محتوى الكتاب	٢٤٩

تم بحمد الله

* * *